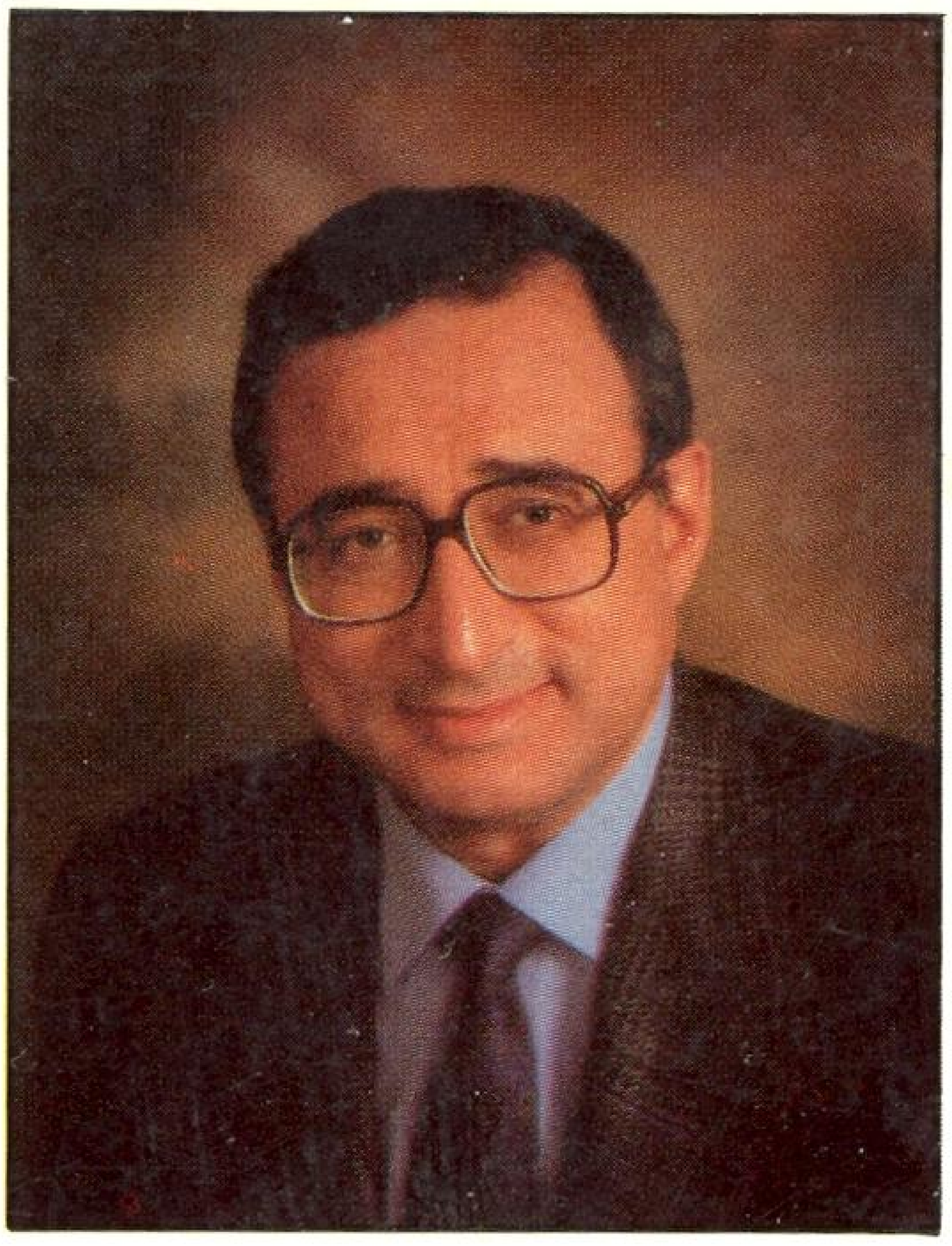
د. عادل صادق

معنى الحب





هذا الكاتب :

- حصل على بكالوريوس الطب والجراحة من كلية طب جامعة عين شمس عام ١٩٦٦، ثم حصل على دبلوم الأمراض الباطنية، ثم دبلوم الأمراض العصبية والنفسية، ثم حصل على الدكتوراه في الطب النفسي عام ١٩٧٢.
- في عام ١٩٧٤ سافر الى بريطانيا حيث حصل على دبلوم الطب النفسي ثم حصل على عضوية الكلية الملكية للأطباء النفسيين وعين مستشار الطب النفسي في (جلاسكو) لمدة عامين.
- تدرج في الوظائف الجامعية حتى عين استاذاً للطب النفسي عام ١٩٨٢ بكلية طب جامعة عين شمس.
- منحته الجمعية الأمريكية للطب النفسي الزمالة الفخرية في عام ١٩٨٣ ليصبح الزميل رقم (٣٧) الذي يمنح هذه الشهادة من غير الأمريكيين، وفي عام ١٩٨٤ منحته الكلية الملكية للأطباء النفسيين في لندن الزمالة الفخرية.
- له أكثر من ١٠٠ بحث في الطب النفسي منشور في المجلات العلمية المصرية والعربية والعالمية.
- يتولى رئاسة تحرير مجلة الطب المصرية EMG.
- سكرتير عام الجمعية المصرية - الفرنسية للطب النفسي.
- عضو مجلس إدارة الجمعية المصرية للطب النفسي.
- حصل في عام ١٩٩٠ على جائزة الدولة لتبسيط العلوم
- صدر له ١٨ كتاباً.

د. عَادل صَادق

معنى الحب

المقدمة

.. بعد أن قرأت كثيراً عن الحب، وبعد أن انتهيت من هذا الكتاب عن الحب، أتصورً أن الحب ليس بحاجة إلى أن نكتب عنه، بل إن الكتابة عنه تنال من بعض قدسيته.. وأبسط إنسان يعرف عن الحب مثل أعظم فيلسوف.. وربً إنسان بسيط أحب يدرك من معانى الحب ما يعجز الفيلسوف عن فهمها.

.. إن الكلمات أحياناً تنال من براءة المشاعر.

د. عادل صادق

١

سر الحب

وما بين حب وحب
أحبك أنت

وما بين واحدة ودعتني
وواحدة سوف تأتي
أفتش عنك هنا وهناك
كأن الزمان الوحيد
زمانك أنت

أحمد

♥ .. إنه سرٌّ الأسرار.. يعلو على الزمان والكلمات.. سرٌّ قدسي.. سرٌّ غامض.. شيء غير موصوف.. ضياء إلهي يشمل جَنَبات النفس فتشع خيراً وجمالاً ودفئاً.. نور يشمل الكون كله مصدره النفوس العاشقة ولا تدري أنها المصدر..

♡ ♡ ♡

.. لا نستطيع أن نعبِّر عنه بكلمات محدودة لأن الكلمات رموز وصفية وهو يجل عن الإحاطة والوصف..الكلمات تعبر عن مشاعر محدودة وتصف أشياء معينة من داخل النفس وخارجها، ولكن الحب هو حقيقة شاملة، قمة شامخة وعمق أبدي.

♡ ♡ ♡

.. هو اللامتناهي والأبدي والخلود فأين الكلمات التى تصف بدقة هذه المعاني، ومن الذي يصف؟ أهو العاشق؟ وأي عاشق!!.. أم كل العشاق مجتمعين؟ وهل تتشابه خبرات الحب، أم هو تجربة ذاتية فريدة شأن كل الظواهر السامية!! فما بالك وهو قمة هذه الظواهر سمواً ونقاءً وطُهراً وخيراً وجمالاً..

.. إنه خبرة إنسانية متكاملة لا نستطيع فهمها إلاّ في حالة ممارستها والمرور بها شخصياً.. إنها تستعصى على فكر ووجدان المتأمل والفاحص والمراقب والناظر والباحث والفيلسوف والعالم.. وربّ إنسانٍ بسيط يهيم في الرُبى لا يشغله غير رزق يومه، ولا يدرك من حقائق الكون إلاّ ليله ونهاره وشمسه وقمره وأرضه وسماه، ولا يملك غير نفس صافية خيِّرة، ربَّ هذا الإنسان يُدرك من معاني الحب حين يحب ما هو أعمق من إبداعات عقل مفكر لم يخطف الحب روحه ليمزجها بروح إنسان آخر.

♡ ♡ ♡

..إنه مثل القوى التي لا تُرى، ولكنها تُحسّ وتؤثّر في وجودنا وتؤثّر في حركة الكون، فتظلّ السماء فوق رؤوسنا بلا عَمَد، وتظل الأرض راسخة برواسٍ لا ندري غورها، وتطلع علينا الشمس فننعم بالنور والدفء، وتدبُّ الحياة، ويطلع علينا القمر فنستأنس بنوره، وتهبّ علينا رياح لا ندرك مصدر حركتها ومبعث قوتها فتحمل سحاباً لتسقي به أرضاً ميتة وتنقل حبوب اللّقاح لتثمر أشجاراً وورودا.

الحب هو أحد هذه القوى الكونية العجيبة حين يربط روح إنسان بروح إنسان آخر.. هذه الرابطة التي لا تستطيع أي قوة أخرى أو كل القوى مجتمعة أن تصنعها..

♡ ♡ ♡

..هكذا ببساطة – كما يبدو ظاهرياً – يلتقي إنسان بإنسان.. يتلاقى وعيان.. قلبان.. روحان.. فيتعانقان.. يمتزجان.. يذوبان..

وتتأصل الروابط في ماضٍ لم يكن قد التقيا فيه، وتمتدّ إلى مستقبل لم يعشاه بعد.. هكذا من شدة العناق تضيع حدود الزمان ليعيشا التجربة الخالدة الفريدة التي تفوق حدود المشاعر والانفعالات التي يمرُّ بها أي إنسان.. تُطهر وتُدفئ وتُضيء وتُنعم.. تُسبغ الخير وتُضفي الجمال وتُكسب المعنى.. معنى الوجود.

♡ ♡ ♡

..أيُّ سرٍّ عظيم !! سرّ لا تدركه إلا الأرواح المتحابّة فهو سرّ كائن في أعمق الأعماق، وهو ليس مثل أسرار الكون الغامضة التي يحاول العلم أن يفكَّ طلاسمها، وهو ليس مشكلة علمية معقّدة يجتهد العقل في فهم رموزها، ولكن غموض الحب أنه كائن في أعمق الأعماق. إنه مرتبط بصميم الذات الإنسانية، وكل ذات متفرّدة. لا توجد قوّةٌ مماثلة تربط بين القلوب.. إنه مباغتٌ وخالدٌ في نفس الوقت، وليس له أسباب أو مبررات، ليس له مقّدمات، إنه قوّة فعّالة ومُحرّكة تُغيّر في الإنسان.. ترفعه درجات إلى سماء السمو والطُّهر حتى تصل به إلى القمة.

♡ ♡ ♡

..هذه القمة لا يبلغها إلا العاشقون حين تنفتح أمامهم سبلاً جديدة وممتدة نحو آفاق أرحب من الجمال المطلق والخير المطلق وحيث يمسكون بأسباب الحقيقة.. حقيقة الوجود.. وتلك نشوى لا تُدانيها نشوى.. وذلك سرورٌ لا يُعادله سرور.. إنه انكشاف السر الأعظم.. سر لماذا أنا موجود.. ما معنى أنا إنسان.. وذلك أول لقاء فعلي بين الإنسان ونفسه، وبين الإنسان والكون، وبين الإنسان

ومصيره.. كل ذلك لا يتحقق إلا حين تلتقى ذاتٌ عاشقة بذاتٍ عاشقةٍ أخرى.. أى سرٍّ إلهيٍّ عظيم!! أى قوة كونية خارقة!!

.. ولعلَّ صعوبة وصف الحب في أنه مزيج من الانفعالات التي تختلط وتتواجد في آنٍ واحد. ذلك الخليط من الفرح والحزن والسعادة والشقاء والألم والراحة والقلق والاسترخاء والعذاب والطمأنينة والخوف.. كل هذه المشاعرِ مجتمعة أو متناوبة تُحققِّ حالةً من النشوى.. حالة غريبة محيِّرة يتواجد عليها الشخص العاشق.. يَحار في وصفها ولكنه يتمسَّك بها لأنها تخلقه خلقاً جديداً.. خليطٌ من المشاعر يمتزج فيخلق حالةً انفعالية لا يُدركها إلا من عايشها.. ومن عايشها يستعذبها.. يُدمنها.. ليتشبَّث بها، فمن خلالها يُدرك ما لا يُدركه أحد، ويرى ما لا يراه أُحد.. من خلالها يعيش حياة جديدة.. إنه ميلاد جديد. ميلاد عبقري. إنها مثل انفعالات المبدعين في لحظات الإبداع والتي يصعب وصفها، ولكن يمكن وصف استجابة النفس والجسد لها حين يستشعران ألماً وسعادة في آن واحد.. إنها من تأثير الإلهام الإلهي على النفس والجسد. وربما تتشابه معها من بعيد تلك اللحظات التي تعيشها الأم وهي تأتي بمخلوقٍ جديد إلى الوجود حين يجتمع الألم والسعادة فينشأ عنهما تجربة انفعالية فريدة لا تُدركها إلا من عايشتها.

هناك سرٌّ في لحظات الإبداع.. وهناك سرٌّ في لحظات ميلاد طفل.. وسرّ الأسرار هو الحب. ولا يُدرك هذا السر ولا ينكشف للعاشق إلا بالمعاناة.. إنها معانٍ تجلّ عن الوصف.

♡ ♡ ♡

..صعوبةُ فهم الحب ووصفه تأتي من عدم القدرة على التوصل إلى الأسباب التي جمعتِ بين روحين.. لماذا أحبّها.. ولماذا أحبّته.. لماذا هي بالذات، ولماذا هو بالذات.. لماذا لم يحب غيرها رغم أن هناك من يفضلها.. لماذا لم تحب غيره رغم أن هناك من يفضله.. لماذا هما الإثنان معاً بالذات.. ولماذا لم يحب غيرها حين التقى بعد ذلك بمن هي أفضل منها.. ولماذا لم تحب غيره حين التقت بعد ذلك بمن هو أفضل منه!!

.. هذا هو السرّ وخاصةً حين نعرف أن المحب يرى أن محبوبه هو أجمل من خلق الله حتى وإن اختلف كل الناس معه.. وهو ليس جمال الميزات والصفات مثل جمال الجسم والوجه، ولكنه الجمال الذي يشعُ من الذات الإنسانية الشاملة.. الذات ذاتها.. الإنسان نفسه.. الكل متكاملاً وليس أجزاء متفرّدة متفرّقة.

المحب لا يرى محبوبه ككائن حاضر فقط، ولكنه يرى ماضيه، ويرى مستقبله.. يرى الأصول الطيبة لماضيه والجذور الثرية الضاربة في أعماق صِباه.. يرى بِذرةَ الخير الأولى التي تحمل عناصر النّماء والإثمار.. ثم يرى المستقبل المزدهر بالسموّ والطهارة.. يلمس ذلك الماضي ويرى ذلك المستقبل حتى وإن لم يتفق ذلك مع الحاضر، حتى وإن كان الحاضر مليئاً بالعيوب الظاهرة.. العيوب السطحية.. العيوب التي تُشوّه الجمال الخارجي. ولكن المحب بقلبه، بعقله، بحَدْسِه، بباطنه، بسحر الحب، بالسرّ الآلهي، بالقوة الكونية الخارقة، بكل هذا يستطيع أن يلمس وأن يرى ما لا يلمسه وما لا يراه أحد.. يستطيع أن يدرك الجمال الحقيقي الذي ينضح به حبيبه. يُدركه و هو مُغمض العينين فيهتف من أعماقه : سبحان الخالق لهذا

الجمال. ما أجمله من مخلوق لم أرَ مثله في حياتي الماضية ولن أرى مثله في حياتي المستقبلة.

♡ ♡ ♡

..أنت الجمال المطلق وأنت الخير المطلق يا من أحببت. ولذلك فحبي لك يختلف عن حبي لأي شيء آخر ولأي ذات أخرى.. حبي للأشياء والموضوعات والذوات الأخرى مبنيٌ على قدرِ ما تتمتع به من مزايا وسِمات وصفات.. وهو أيضاً حب مبني على النسبية. فالأشياء والموضوعات والذوات تعرف بالمقارنة إلى بعضها البعض.. وهو أيضاً حب مبني على مدى ما تحققه لي هذه الوسائل من إشباع. ولكنني يا حبيبي أحبك لذاتك.. لإطلاقك.. لكونك أنت.. مجرد أنت وهذا يكفي.. ولذا فأنا أريد أن أحتفظ بكلمة حب وبكلمة حبيبي لك أنت وحدك.. أما فيما عدا ذلك من أشياء وموضوعات وذوات فأحمل لها مشاعر تخضع لتسميات أخرى. وذلك هو سرُّ الأسرار في الحب. فالإنسان لا يحب إلا شخصاً واحداً ليس من قبله وليس من بعده..

♡ ♡ ♡

..وأنا يا حبيبي لا أدركُك بعيناي.. ولا بأذناي ولا بقلبي ولا بعقلي.. بل أدركك بكل كياني.. بكل ذاتي.. أي بكل وعي.. تلك هي وسيلتي الوحيدة للالتقاء بذاتك والتعرف عليها.. أن يلتقي وعيي بوعيك. إذن هو إدراك الحدس وليس إدراك المعرفة. إذن هو الالهام الالهي. وذلك هو السرّ الأعظم. إن علاقتنا بالأشياء والموضوعات والذوات تحددها عوامل معرفية، أما في الحب فإن شيئاً ما يتحرك من الباطن، من الداخل، من الأعماق.. شيئاً ما

يهديك إلى من تحب.. ميْل طاغي يُحرك كل كيانك نحو إنسان معين مثلما يتحرك مؤشّر البوصلة بفعل تلك القوة غير المرئية.. حركة تلقائية لا تحتاج إلى سابق معرفة ولا تحتاج إلى خريطة ولا تحتاجة إلى قائمة بالمواصفات.. ولذلك فهو أمر لا يوصف.. أمر يُجلّ عن الوصف.

وحين انجذبت إليك بفعل تلك القوة الكونية الخارقة يا لدهشتي وجدتك منجذباً ناحيتي.. فسقط في لحظة أو أقل من اللحظة ذلك الجدار الذي يفصل بين ذوات البشر.. وإذا بي أرى المستقبل. أتوقع.. أتنبأ.. توقّع المتأكد، وتنبؤ الواثق بأننا سنكون معاً إلى الأبد. وبفعل تلك القوة إذا بي أنفذ إلى صميمك فأطّلع على جوهر ذاتك الرائع، وأرتدّ منها إلى وجهك فإذا بي أستطيع أن أقرأ كل ما يطرأ عليه من انفعالات حتى وأنا مُغمض العينين. حتى أنفاسك في الظلام تكشف لي عن حالتك الوجدانية.. هذا هو السرّ الغامض في الحب.

♡ ♡ ♡

..والشيء الذي لا يوصف هو ذلك الشيء الذي يفوق في معناه قدراتنا الفعلية على التحليل والتشريح والإحاطة والمتابعة. أو ذلك الشيء الذي نُدركه بوجداننا أكثر مما نُدركه بأفكارنا وبذلك لا نجد الكلمات المناسبة للتعبير عنه.. وهكذا الحب حين يتمكّن من قلب إنسان فيصير محورَ وجوده أولاً ثم يصبح مبرّراً لوجوده.. ثم يصبح وسيلة للتطلع إلى المستقبل وتكون له القوة بحيث يبعث في الإنسان يقيناً أن حبه خارج عن نطاق سيطرته.. قوة أكبر من إرادة الإنسان ذاته رغم أن الإنسان هو الذي قرّر وهو الذي اختار..

فصميم تجربة الحب الاختيار.. الحرية الإرادة الإنسانية.. ولكنه بعد ذلك يعلو على الزمان.. يصبح لامتناهياً. خالداً. أبدياً. لا يموت وإذا كان الإنسان يخاف الموت فإنه بالحب يشعر بأنه فوق الموت أو بأنه قهر الموت، فتغمره سعادة وطمأنينة.. يخرج من حدود المتناهي إلى اللاّمتناهي.. من المحدود إلى اللاّمحدود.. من الموقوت إلى الأبدي.. تلك إحدى الأسرار الخالدة للحب.. سر الخلود.. ولذلك تكتسب الحياة معنىً جديداً لدى المحبّين ويتّسم أسلوبهم وفلسفتهم في الحياة بطابع جديد.. وفي ذلك شيء من الاسطورة المشهورة عن شجرة الخلود التي إذا أكل منها الإنسان صار خالداً لا يموت.. تتغيّر طبيعته البدنية فيصبح غير قابل للفناء.. يصبح أقرب للملائكة. وبذلك يستشعر المحب تغيُّراً جذرياً في كل شيء.. في بَدَنِه. وفي روحه أي في عقله ونفسه، فكره ووجدانه. ليس فقط ميلاداً جديداً، ولكنه ميلادٌ على نحو آخر. بصورة مختلفة.. وبذلك تختلف المفاهيم والرُّؤى. بل حتى المشاعر والخَلجات الوجدانية تصبح ذات معنىً مختلف ووَقْع مُغايِر.. فالألم غير الألم، والعذاب غير العذاب، والسعادة غير السعادة، والقلق غير القلق، والطمأنينة غير الطمأنينة.

ولذلك فإن الطرف الثالث في علاقة الحب (الصديق أو المستشار أو المُحكم) لا معنى لوجوده.. لأنه لن يفهم أو لن يشعر كما يشعر الحبيبان.. لن يُدرك طبيعة الحالة التي استحال إليها العاشقان. حين يفكر لهما أو معهما فإنه سيفكر بمفردات حياته هو أو حياة الواقع البعيدة عن خبرة الحب. حتى وإن كان هو ذاته عاشقاً فإن الحب هو تجربة فريدة.. شديدة الخصوصية. ولذلك فليس من المفيد

استشارة طرف ثالث في هموم الحب الخاصة بنا.. لا أحد يستطيع أن يلمس بفكره ووجدانه درجة العمق التي يتمكن منها الحب ويُمسك بروح المحبين فيصبح مصيرهما واحداً لا يؤثر فيهما حسد أو شر أو حقد ولا ينال منهما إيذاءٌ ومؤامرات عزول..

ذلك هو أحد أسرار الحب الهامة.. أبدية العلاقة.. تلك الأبدية التي تهزأ بكل محاولة للنيل من كينونتها وصيرورتها واستمراريتها.. حتى وإن كان الطرف الثالث مُخلصاً. في نصحه ومساعدته فإنه لن يلمس إلا السطح.. سطح العلاقة بينهما الحب يمسك بالروح.. يربط الروح بالروح.. إنه أعمق وأوثق تجربة روحية عرفها الإنسان.. حقاً إنها تنطلق أو تبدأ من الحاضر.. لحظة في زمان نعيشه الآن، ولكنها ترتدُّ إلى ماضي الإنسان العاشق فتُضفي عليه معنىً وقيمة، حتى تصبح اللحظة الحالية وهي لحظة اللقاء الأول وكأنها التطور الطبيعي والنتيجة الحتمية لهذا الماضي.. وكأن هذا الماضي صِيغ بشكل معيّن ليقودنا إلى هذه اللحظة، وكأن هذا العاشق قد أهلّ بسِماتٍ معيّنة ليتحقق له هذا اللقاء في هذه اللحظة من الزمان. ثم تمتد بعد ذلك إلى المستقبل. ويصبح المبرّر الوحيد لاستقبال الغد هو تلك اللحظة الحالية.. لحظة اللقاء الأول.. ثم تمتد إلى ما بعد المستقبل.. إلى اللاّمتناهي. فتكتسب طابع الخلود.. إنها شجرة الخُلد التي تمتدّ جذورها إلى أقصى ما تصل إليه الأرضِ من عمق وترتفع إلى أعلى السموات.. شجرة لا تموت، ومن يُطعَم منها يخلد.

♡ ♡ ♡

..وإذا قلنا أن الحب نور يمسك بتلابيب الروح ويربطها بروح أخرى فإنه يكشف للإنسان العاشق لأول مرة كل شيء عن روحه. وعن روح حبيبه، وتلك إحدى أسرار الحب وقواه الخفيّة التي تعلو عن الوصف، وبذلك يفهم العاشق ما هو ضمنيّ وخافٍ.. رؤية للواقع.. للحاضر.. رؤية المستقبل وما هو آت، وما هو متوقّع، وما هو ممكن، ولذلك يمضي في طريقه بهداية حبه، بنور وجدانه، وكأنما هو مستسلم لمصيره.. هو يُسلّم لتلك القوة الخفية التي تدفع به في طريق معين. وربما يصرخ كل الناس من حوله.. إحذر.. إبتدع.. تأنّى.. إنتظر.. ولكنه لا يسمع لأحد. وكأنما يسيطر عليه وحي إلهيٌ لا قبل له بمناقشته أو معارضته وكيف يُناقش أو يُعارض الإنسان أوامر السماء.. إنها الرؤية الكاشفة والبصيرة النافذة. إنها المشيئة الإلهية.. ولذلك يهتف المحب : إنني أراك يا حبيبى في حضرة النور الإلهيّ فانكشف لي ماضيك وحاضرك ومستقبلك.. ونفذتُ إلى صميم روحك فأدركتُ ما أنت مؤهّل له.. للسموّ والرّفعة وما بك من نزوع نحو المثالية.. إنني أحببتك في حضرة النور الإلهيّ فكيف يتهمونني بالعمى.. ولذلك لا يحتاج المحب إلى كتاب أو إلى خبرة سابقة أو إلى مشورة من صاحب.. لا يحتاج إلى علم أو فلسفة..

إن الحب يحتاج فقط إلى إنسان مؤهّل للحب.. إنسان ذو إمكانيات معيّنة تجعله مستحقاً لأن يعيش في ظلّ النور الإلهي الذي يُضيء له جنَبات روحه ويصله بروح إنسان آخر. وذلك قَدَرٌ ومصيرٌ مكتوب لبعض الناس وليس كل الناس مكتوب عليهم أن ينعموا في الحياة بأعمق خبرة روحية على حين فَجْأة.. بلا

مبرِّرات.. بلا مقدّمات. حَدْسٌ كاشف.. حدث كليلة القدر وكأنما تتنزَّل الملائكة لتُزاوجَ روحيْن من أرواح بني البشر.. وبما أن الزواج تمَّ على يد ملائكة مُنزَّلة من عند الله فإنه زواج مبارك لروحين لهما مكانة خاصة عند الله.. زواج يُعدُّ بسعادة مطلقة ولكنه من نوع خاص غير الذي يعهده الناس العاديون.. وهي سعادة خفيّة لا تُدرَك بالشعور المباشَر ولا بالوعي الذي لا يتحقَّق إلا بكل ما هو ملموس أو مُدرَك بالحواس.. بل هي من نوع تلك السعادة التي نشعرها حين نستمع إلى الموسيقى. هناك موسيقى تبدو وكأنها قادمة من السماء فتنقلنا معها إلى السماء.. موسيقى تمسُّ الروح. وفي الموسيقى غموض لأنها ليست كلمات.. في الموسيقى معانٍ مبهمة.. الموسيقى تخاطب كل إنسان على حدة. ومع الموسيقى يتوقَّع الإنسان ويترقَّب وينتظر.

وذلك هو سرّ الحب أو ذلك هو الشيء الذي لا يوصَف في الحب.. الانتظار.. الترقُّب.. التوقُّع.. كَمَنْ يقف على حافَّة الليل مترقِّباً ومُنتظِراً لانبثاق النور. إنها من أشدّ اللحظات نشوة وسعادة.. وحين ينبثق شعاع تتلهَّف النفس للشعاع التالي.. قد تكون هناك معاناة في الانتظار، قد يكون هناك قلق في التوقُّع، قد يكون هناك خوف من الترقُّب، ولكنها معاناة غير المعاناة. وقلق غير القلق، وخوف غير الخوف.. إنها المعاناة اللاَّذَة، والقلق المُستعذَب والخوف المُطَمئِن.. وربما يكون ذلك هو صميم السعادة في الحب.. قطرة بعد قطرة.. ونفحة بعد نفحة.. وتجليٌّ بعد تجلّي.. وإشراقةً بعد إشراقة.

وهكذا يظل العاشق في حالة شوق مستمر.. شوق لا ينتهي..

وذلك هو أصل الجمال في الحب.. وذلك هو الجانب الفني في الحب.. فالفن جمال، والحب جمال، والحب فن، والفن حب.

♡ ♡ ♡

..وبذلك يكتسب الحب طبيعةً خاصة تختلف عن بقية العواطف والمشاعر والأحاسيس الأخرى حيث لا ملل ولا رتابة ولا جمود.. بل هناك شيء جديد دائماً.. هناك تطور.. هناك إبداع مستمر.. إنه الثراء في الحب.. اللاّنهائية في كلِ شيّء في الحب.. ولذلك هو سرّ الأسرار.. شيء لا يوصَف ولا يحدّ.

♡ ♡ ♡

.. ولذلك فالماضي كان حلواً، والحاضر أحلى، أما المستقبل فيُعدُّ بحلاوةٍ لا توصَف ولا يمكن تخيُّلها.. ولذلك تَفيضُ حلاوة الحب على الواقع الماديّ المباشر حتى وإن كان مؤلماً فتُحيله إلى شيء أشبه بالجنة... فيقنع المحبون بالسكنى في كوخ بسيط ويشبعون من طعام متواضع ويَزْدهون بملابس رثّة وينتفخون بدراهم معدودة.

ولذا فمن أبرز سِمات المحبين التّواضُع، فرحين بما أتاهم الله من نعمة الحب، مستبشرين بما يعِدُهم الله من خير في الحب.. إذن فمع التواضع هناك توقّع حسن.. تفاؤل.. استبشار.. أمل.. شوق.. لهفة.. تطلُّع.. وهو ليس إنتظاراً سلبياً استسلامياً ولكنه انتظار يحمل طابع التنبؤ إنه الظل الذي يظل سراً رغم ما انكشف منه وما ينكشف كل لحظة.. إنه العمق الذي يظل عمقاً رغم توغلنا فيه كل لحظة.. وإنها المعرفة التي كلما نهلنا منها فتحت الطريق أمامنا لمزيد من الحيرة والتساؤلات تدفعنا إلى أن نعرف أكثر..

♡ ♡ ♡

..إنه الحب الذى يجعلنا نقف على عتبة الكون لنقترب أكثر من فهم سرّ الوجود..

♡ ♡ ♡

..إنه السرّ الغامض.. السر القدسيّ.. النور الإلهيّ.. أمرٌ غير موصوف.. لا كلمات..

♡ ♡ ♡

..أيُّ سرٍّ فيك؟ لستُ أدري.

٢

معنى الحب

هذه الدنيا كتاب
أنت فيه الفكر

هذه الدنيا ليال أنت فيها العمر

هذه الدنيا سماء
أنت فيها القمر
هذه الدنيا عيون
أنت فيها البصر

إليك أنت

♥ .. هل هو وَهْمٌ جميل يبدو من صدّقه وكأنه واقع. أم هو حُلْمٌ رائع يبدو من وضوحه وكأنه حقيقة.. أم هو خيالٌ ساحرٌ يبدو من شِدّة الاستغراق فيه كأنه مُعاشٌ حقاً. أم هو الحقيقة كل الحقيقة..؟

♡ ♡ ♡

.. ما الحب ؟ ما المعنى.. ؟ ما التعريف ؟ ألم نقل أنه يُجلُّ عن الوصف!! ألم نقل أنه لا كلمات !!

♡ ♡ ♡

.. أنحبُّ بالقلب أم بكل الجسد.؟ أنحبُّ بالروح أم بالنفس.؟ أنحبُّ بالفكر أم بالوجدان ؟ ومن هو الإنسان المؤهل ليعطينا تعريفاً للحب ؟ الذي أحبَّ أم المحروم من الحب (وهل هناك من لم يحب قط في حياته)؟. الذي قاسى من الحب أم الذي سُعِدَ به ؟ الذي يؤمن بوجود الحب أم الذي يعتقد أنه زيفٌ ووهم ؟ من ذا الذي يتصدّى لأهمِّ قضية شغلت الإنسان حين وطأت قدماه الأرض ؟ حين كان هناك إثنان وليس واحداً..

.. هل يحب الإنسان ليعيش أم يعيش ليحب.؟ هل الحياة ممكنة من غير حب ؟

♡ ♡ ♡

.. هل هو مَيْلٌ مُبْهمٌ نحو إنسانٍ ما ينطوي على إعجاب بأشياء ظاهرة أو خفية في هذا الإنسان؟ وهل يصبح هذا الإنسان الذي أحببناه وسيلتنا لتحقيق إشباعات أو احتياجات مُعينة؟ وهل يلعب الانجذاب الجنسيٌ دوراً في الارتباط وفي حب هذا الإنسان ؟ وهل من الممكن أن يكون هناك حب بدون جنس ؟ وهل يحب الإنسان شخصاً واحداً أم يستطيع أن يحب اثنين في وقت واحد ؟ وهل يستطيع الإنسان أن يحب وفي نفسِ الوقت يكون له القدرة على كراهية آخرين ؟ وهل الحب وَقْفٌ على النفوس الطيِّبة الخيِّرة أم يقدر عليه حتى الأشرار والسيِّئون؟ وهل نحن أحرار في أن نختار من نحب أم أن الحب قدر ونصيب وأن الجامع بين القلوب هو الله وحده ولا حيلة للإنسان ؟

♡ ♡ ♡

.. وإذا كان الحب عطاء مُطْلَق فهل يستطيع الأنانيُّ أن يحب ؟ هل يجتمع الحب والأنانية؟ وإذا كان الحب إخلاص ووفاء فهل يستطيع غير المخلص أن يحب؟ وهل يجتمع الحب والخيانة؟ وإذا كان الحب هو الطهارة فهل هو الذي يُطهِّر النفس أم لا يَقْرَبُهُ إلا المُتَطَهِّرون؟

♡ ♡ ♡

.. وهل يتشابه حب إنسان مع حب إنسان آخر.. أم كل حب هو تجربة فريدة مستقلة لا يمكن مقارنته بحبٍ آخر..؟ وهل الحب

تجربة مركزية مِحورية في حياة الإنسان أم هو تجربة هامشية؟ وهل الحب يجلب السرور أم يجلب الأحزان؟ هل هو مصدر سعادة أم مصدر ألم؟ هو يُضيف للإنسان أم يأخذ منه؟ وإذا أُضاف فماذا يُضيف؟ فَهْمٌ جديد؟! وعيٌ جديد؟! طاقة؟!قوة؟! حيوية؟! إبداع؟ ثقة؟!! طهارة؟! جمال؟! إذا أخذ فماذا يأخذ ؟! وقت؟! صحة؟! أعصاب؟! مال؟!.

♡ ♡ ♡

.. وإذا أحب الإنسان فهل يذوب تماماً في حبيبه ويصبحان شيئاً واحداً أم يظل الإنسان محتفظاً بشخصيته المستقلة وكيانه المُتفرِّد ويزداد إحساساً بذاته وقيمته وجدواه؟ وهل الإنسان الذي نحبه حقاً يكون أقرب إنسان إلينا.. أم تظل هناك حدود وفواصل وحواجز وتحفظات واحتياطات..؟ هل نُسلِّمُ له تماماً أم يظل لدينا بعض الحذر؟

♡ ♡ ♡

.. وهل الحب مجرَّدُ انفعال أو عاطفة صادرة عن الوجدان أم هو حقيقةٌ استيعابية شاملة يدخل فيها الإنسان بكُلِّيته أي عقله وفكره ووجدانه وجسده وتاريخه وماضيه وحاضره ومستقبله وإمكانياته النفسية والروحية، وبه يتحرَّك الإنسان ويُبدِّع ويُضيف.. يسكن ويسلك.. يقف ويمشي.. يصعد ويهبط.. يتفاعل ويسكت.. أي أنه عاطفة وفكرة وفعل.. أي أنه يشمل حياة الإنسان بكل جوانبها.. أو هو الحياة ذاتها.. أو هو عين الحياة وقلبها.. أو هو الذي يُجسِّد قيمة الحياة وجدواها؟

♡ ♡ ♡

.. وهل يجوز أن نُحدِّدُ أنواعاً وأنماطاً وأشكالاً من الحب؟ هل هناك حب حقيقي وحب زائف؟ حبٌّ صحيّ وحبٌّ مرضيّ؟ وهل هناك فروق جوهرية بين أنواع أو أشكال الحب المختلفة مثل حب الأم وحب الصديق والحب العشقي لإنسان من الجنس الآخر..؟ وما هو ذلك الحب العشقيّ الذى يربط بين اثنين من نفس الجنس؟

♡ ♡ ♡

.. ولماذا ارتبطت الغيرة بالحب؟ لا حب بدون غيرة!! هل نَغيرُ لأننا غير مطمئنين؟ لعيب فينا أم لعيب فيمن نحب؟ هل لعدم ثقتنا به أم لعدم ثقتنا بالطبيعة الإنسانية ذاتها؟ وهل الغيرة عدم ثقة أم خوف وقلق وحِرص وفَرْط محبة؟ وهل نخشى فَقْدَ من نحب أم نخشى فَقْدَ الحب؟ وهل هناك أنواع من الغيرة تبعاً لاختلاف أنواع ودرجات الحب؟ وهل الحب درجات..؟ أم لا توجد إلا درجة واحدة وهي الدرجة العليا.. بمعنى إما حب أو لا حب.. لا درجات وسطى..

♡ ♡ ♡

.. وهل الحب الحقيقي هو علاقة تبادلية أم تصحّ من طرفٍ واحد؟ وهل المُحبُّ يسعد فقط أم أنه لا بدّ أن يكون هناك توازن بين العطاء والأخذ؟ وهل في علاقة الحب توجد شخصية مسيطرة غازية وشخصية خاضعة متلقية..؟ وهل هناك فرق بين حب الرجل وحب المرأة؟

.. ثم نعود إلى أصل الحكاية ونسأل هل الحب نزوعٌ فطريّ أم

شيء نكتسبُهُ ونتعلمه ونُحْذِقُهُ ونُتْقِنُهُ، وبالتالي تكون هناك درجات من الاتّقان؟ وهل فيه شيئ من الفن أو الموهبة؟ هل الحب فن؟ هل هو فن الحياة أم هو حياة الفن؟

.. والمحبون ألا تنطوي عواطفهم على حب للحب ذاته أم أن الحب كله موجه فقط نحو المحبوب، وأنه لولا المحبوب لما عرفنا الحب؟ هل الحب هو الذي قادنا نحو المحبوب أم أن المحبوب هو الذي قادنا إلى الحب؟ وهل نتشبَّثُ بعد ذلك بالمحبوب خوفاً من أن نَفْقِدَ الحب وكل ما منحه لنا أم نتشبَّثُ بالمحبوب لذاته؟ أنحرصُ على المَحبوب من أجل الحب؟ وهل كان من الممكن أن يكون المحبوب محبوباً إلا عن طريق الحب!! وهل إذا كان الحب للحب ذاته فهل معنى ذلك أن أي إنسان يستطيع أن يمنحنا هذا الحب وأن نعيش معه هذا الحب من الممكن أن يحلّ محلّ المحبوب؟ أم أن شخصاً واحداً في الوجود كله هو الذي يستطيع أن يُثير لدينا تلك العاطفة التي تُسمّى بالحب الحقيقي؟ في رأيي الشخصي أن المحبوب يجيء قبل الحب.. نلتقي بالمحبوب فنعرف الحب.. حقيقة يجب أن يكون الإنسان مؤهّلاً لأن يحب ثم يأتي المحبوب فيُفجّر كل طاقات وإمكانيات الإنسان المؤهّل لتلك المهمة العظيمة وذلك الفتح المُبين في حياته وتلك الإطلالة على كل الخير وكل الجمال في الكون ليغترفَ منه ويعيشَ سعادته مع المحبوب وبالمحبوب ونُعطي لتلك العلاقة اسم (الحب).

ولا يمكن استبدال المحبوب بشخصٍ آخر لأن إنساناً واحداً فقط هو الذي يستطيع أن يُحرِّك لدينا تلك العاطفة التي تستحيل بعد ذلك لتصبح مركز الحياة أو جوهر الحياة وتُضفي كل المعاني.

♡ ♡ ♡

.. هو الذي يكشف لنا عن احتياجاتنا.. وبالتالي لا نقول أننا نحب لتلبية أو إشباع احتياجات معينة بل هذه الاحتياجات لا تظهر إلى الوجود إلا حينما تلتقي بالمحبوب.. ولهذا فلا نفعيةّ في الحب.. لا مَكْسب أوْلي يبحث عنه الإنسان. لا طموحات وأهداف يسعى لها ويريد تحقيقها من خلال المحبوب.

وعن طريق الحب.. وهذه هي البراءة في الحب وتلك هي التّلقائية وذلك هو التواضع وتلك هي البساطة. إنه النور الذي يكشف عن كنوز الذات، وكنوز الدنيا. وهذا النور مصدره من نحبه. أي أننا لم نكن لنكتشف ذَوَاتَنا ولا كنا عَرَفْنا احتياجاتنا ولا أدْرَكْنا معنى الحياة إلا حين التقينا صدفة بهذا الكائن الذي استحال إلى محبوب.

♡ ♡ ♡

.. ولذلك فالحب ليس مهارة خاصة ولا حاجة إلى تعليم، وإنما هو نزوعٌ فطريّ. والنزوعُ الفطريُّ هو ذلك الاستعداد الخاص للروح كي تكون قادرةً على معرفة الحب حين تلتقي بالمحبوب.. ولذلك فالمحبوب هو النصف المُكمِّل لنا، والذي حين نلتقي به تكتمل الصورة فيتحقَّق المعنى بالكامل والشعور بالتكامُل.. تكتمل الدائرة فتنطلق شرارة الحياة الحقَّة لتُدفئ وتنير وتُشعّ وتُشْبِعَ وتُنْجِزَ وتُثْري.. نماءٌ وخصوبة.. أزهار وازدهار وإثمار وعطاء.. إنه تزاوج الأرواح لتتناسل.. وتناسل الأرواح غير تناسلِ الأبدان.. الأرواح تتناسل بشكلٍ آخر وتنتج أشياءً أخرى، وتُولِّد أجساماً من نوع آخر.. الأرواح حين تتناسل تُولِّد حباً وخيراً وقيماً ومعان.. إبداع من نوع آخر.. أعظم الفنون.. هو الإدراك للكمال الكلِّي الشامل المُطلَق.. إنه أسمى درجات الخير وقمة درجات السعادة والتحقُّق

لأجلٍ معنًى للإنسان. صنع الله. ذلك المخلوق الذي يختلف عن كل مخلوقات الله أدناها وأرقاها. حين خلقه رفعه فوق أرقاها.. حين وضع فيه الإمكانيات لكي يحب، لأنه حين يحب يتحقق بذلك المعنى وهو إدراك المُطْلَق واللاّمتناهي والأسمى.. وعند هذه النقطة يقول الإنسان بصدقٍ ووعيٍ وفهمٍ واقتناع :

لا إلـــه إلا اللــــه

♡ ♡ ♡

.. وهل معنى ذلك أن الحب يصبح مِنْحَةً إلهيةً يُنعم بها الله على بعض عباده؟ وهل يُصبحون بذلك هم هؤلاء الذين عرفوا طريقهم إلى الله فعبدوه من بعد أن أحبوه وأحبوا كل شيء يشرق عليه نور الله؟ وبذلك يكون المصدر الأسمى للحب هو الله. ويكون الأصل في الوجود هو تلك العلاقة السامية التي تنشأ بين إنسان وإنسان والتي اسمها الحب والتي من خلالها تتناسل الأرواح وتتناسل الأبدان.

♡ ♡ ♡

.. ولهذا فالعلاقة العشقية في الحب الحقيقي لا يمكن أن تقوم إلا مع إنسان واحد.. إنسان مُعيّن. نِصْفُ مُكَمِّل. لا بديل له. ولا استغناء عنه. وهذه هي المشكلة، فالحياة قد تكون ممكنة ومُحتملَة إلى حدٍ ما قبل أن نلتقي بالمحبوب. ولكن بعد أن نلتقي به ونكتمِلُ به ونعيش حياة الحب وحب الحياة معه فإنه يكون من المستحيل الاستغناء عنه.. فالموت أرحم من فَقْدِه. وطالما أنه شخص واحد

فالإخلاص كله يكون له.. وبذلك يصبح الإخلاص هو صميم الحب.. وحتى إذا حاول المحب عبثاً أن يلعب لعبة اللاإخلاص فإنه يفشل.. ولهذا لا فَضلَ للمحبين لإخلاصهم ولا جائزة يستحقونها على هذا الإخلاص.. وهذا الإخلاص في الحب ليس فعلاً إرادياً. وإذا كان المحبون - فَرَضاً - غير مخلصين قبل الحب فإنهم يصبحون مخلصين بعد ذلك والفضل للحب.. إلا أنه يجب التأكيد هنا على أن النزوع الطبيعيّ لكل إنسان لديه الاستعداد لأن يحب أن يكون مخلصاً.. الإخلاص هو سمة من هو مؤهَّل للحب، ولكن الممارسة الفعلية الكاملة للإخلاص لا تكون إلا بعد أن يلتقي بنصفه المُكمِّل. ويكون هذا تجاوباً طبيعياً.. لا مُجامَلَةَ فيه ولا تعمد ولا محاولة للحرص على التمسك بمكارم الأُخلاق..

ولذلك فالحب هو الطريق العظيم للترقّي.. للصعود والسموّ.. فإذا قلنا أن صميم الحب هو الإخلاص فإن هذا الإخلاص يُولِّد قِيَماً عظيمة أخرى كالوفاء والمسؤولية والرعاية والعطاء والاحترام والنزاهة.. إنه كل القيم مجتمعة.. وهو التجسيد الحقيقي للضمير الإنساني ووسيلته إلى عالم الطهارة والخير والجمال والحق.

♡ ♡ ♡

.. كل هذا يأتي بغتةً.. في لحظة.. مُصادَفة رائعة.. إلهام مباغت.. بلا مقارنة ولا تفضيل ولا انتقاء ولا اختيار ولا حسابات ولا شروط ولا عِلَل ولا أسباب. وهنا تفقد النسبية معناها وقيمتها كواحدة من أعظم اكتشافات العقل الإنساني..

♡ ♡ ♡

.. المهم أنه لا أسباب ولا مبرِّرات ولا عِلَل ولا مقدِّمات.. وكل الضمانات تكون مكفولة منذ البداية وأيضاً بلا أسباب. نحبه.. لماذا نحبه؟ لأننا نحبه. ولماذا هو بالذات؟ لأنه هو الذي كان يجب أن نحبه، هو الذي كنا نبحثُ عنه، هو الذي كان في خيالنا وضميرنا.. ولهذا فالأصحُّ أن نقول أننا أحببناه ثم قابلناه لا أن نقول قابلناه فأحببناه.

كان حبنا موجوداً قبل أن نوجد.. حبنا سابق على وجودنا، وَوُجِدْنا لكي نُحقِّقَ حبنا ولنُدرِكَ سرَّ وجودنا.. لندرك لماذا وجِدْنا.

♡ ♡ ♡

..تستغسقنا دهشةٌ منذ لحظة اللقاء الأول وتستمرُّ معنا الدهشة إلى أن نفنى وكأننا مسحورون. ندخل هذا العالم المسحور وننشد له ولا نريد أن ننفصل عنه ولا نريد أن نرتدَّ إلى واقعنا حيث يصبح لنا واقع جديد له مَذَاقٌ خاص. رائحةٌ خاصة. ألوانٌ خاصة.. أبعاد مختلفة.. قِيَمٌ أسمى.. سعادةٌ قصوى. خيرٌ مُطْلَق.. ورغم شِدَّة تأكُّدنا من مشاعرنا إلا أننا نشعر أننا نعيش واقعاً سرياً غامضاً.

♡ ♡ ♡

.. ولأنه لا أسباب ولا مبررات فإننا لا ندخل في تفصيلات، فلا نستطيع مثلاً أن نقول أننا نحبه أكثر لأنه جميل أو لأنه ذكي.. كما لا نستطيع أن نقول أن حبنا له قد انخفض درجة لأننا اكتشفنا أنه أقل ذكاءً أو أقلّ جمالاً عمّا كنا نعتقد.. إننا لا نرى ميزاته ولا نرى عيوبه أيضاً.. لا ميزات ولا عيوب.. ولكننا نحبه هو. كله.. ذاته.. على إطلاقه. ومنذ أن نلتقي به لا يزيد حبنا ولا يقلّ. قد نشعر بعد

ذلك أننا نحبه أكثر ولكن الحقيقة هو أننا نكتشف بعد ذلك مدى ما كان عليه حبنا منذ البداية.. فالحب يولد كاملاً. الحب ليس كالقمر.. الحب يولد بدراً ويظل بدراً.. ولهذا يظل المحبُّ على حبّه لمحبوبه حتى وإن فقد هذا المحبوب بعض قدراته أو بعض إمكانياته أو بعض صفاته بفعلِ الزمن أو لأيّ سبب آخر. ويظل أيضاً الحب كما هو حتى وإن تخلّى عن بعض عيوبه.. لا يُحزِننا تراجع بعض مِيزاته ولا يُفرِحنا تراجع بعض عيوبه.

ومن أبرز الدلائل على ذلك هو أن المحبوب حين يُقْدِم على جراحة تجميل تزيد من جماله كما يتصور فإن حبيبه لا يُدرِك هذا التغيير (الإيجابي) الذي طرأ على شكل محبوبه.. إن الصورة التي أحبها منذ البداية تظلُّ مُنطَبِقةً في ضميره ووجدانِه لا يُريد لها تغييراً ولا يلحظ أيّ تغيير يطرأ عليها، وقد يتقدّم به العمر ولكن حبيبه لا يلحظ علامات الزمن. ولذلك قد تعتب المرأة أحياناً على حبيبها أنه لم يلحظ فستانها الجديد وتتّهمه بعدم الاهتمام، والحقيقة أن اهتمامه لم يَفتَرْ ولكن لأنه يراها الجمال المطلق فإن أي شيء جديد لا يزيدها حُسناً فهي الحُسْن ذاته.

♡ ♡ ♡

.. ومن الصعب أيضاً أن يقبل المحب أن محبوبه قد تغيّر أخلاقياً في الاتجاه السلبي لأن الثقة المتبادلة تكون مكتملة منذ البداية، وأيضاً هو يتوقّع – مثلما يحدث معه هو شخصياً – أن حبيبه سيترقّى في الاتجاه نحو المثاليّة بفعل تأثيره الشخصيّ عليه وبفعل الحب، فالتطور الطبيعيّ للشخصية بعد الحب هو أنها تمضي قُدُماً في

التحليق في سماء الخير والجمال والحق وليس العكس.. وتلك إحدى نِعَم الحب وهي سعادة الاستقرار ونشوة الطمأنينة.

٣

لماذا نحتاج الحب

♥ .. يحاول المحبون وصف سعادتهم بشتَّى العبارات التي قد تعجز عن النقل الدقيق لما يشعرون به ولكن من فرط صدقهم وحرارتهم فإن أصواتهم تكون كافية لنقل ما يَجيش بصدورهم، وأنا هنا أنقل عن عبارات صدرت بشكل مباشر على أَلْسِنَةِ المحبين.

يقول المحب :

♡ أشعر بالطمأنينة مع حبيبي.

♡ تزول عني كل مشاعر الوحدة القاسية حين أكون معه.

♡ حين يذهب عني تصبح الدنيا من حولي مُقفرة جرداء حتى وإن كان معي كل الأصدقاء.

♡ تنتابني مشاعر الضياع حين أبحث عنه ولا أجده.

♡ أحسّ بالاكتمال وأنا معه.

♡ أحسّ أن الحياة تمضي بانضباط وهو بجانبي.

♡ تتبدَّد كل مخاوفي حين يقترب مني.

♡ ترتفع معنوياتي حين أبدأ يومي بسماع صوته.. وينتابني الاكتئاب اذا مضى يوم دون أن أسمعه.

♡ تنهار قدرتي على المقاومة حين يبتعد عني.

♡ أشعر باليأس حين أتصوَّر انفصالنا.

♡ وأنا معه أشعر بأني أنا.. بأني مستمر.. بأني باقٍ حتى وإن متُّ.. أستهين بالموت ولا أخافه.. أشعر أن مشاعرنا ممتدة إلى ما بعد الموت، فلا أهمية للموت حينئذ.

.. من هذه العبارات الصادرة عن ذواتٍ عاشقةٍ نستطيع أن نستخلصَ حقيقةً هامة وهي أن الحب يقضي على أحاسيس الوحدة.. الضياع.. الفراغ.. التَّوهان.. النقصان.. الفناء.. بالحب نكتمل ونمتلىء ونطمئنُّ ونهدأ ونهنأ ونستقرُّ ونسْمَرُ ونسعد ونفرح. وهذا أمر عجيب. فمن خلال شخص واحد فقط نشعر بكل هذا الامتلاء والاكتمال والسرور.

شخص واحد فقط يُذهب عنا الخوف والقلق ويجلب لنا الطمأنينة.. شخص واحد فقط يساوي كل الناس مجتمعين.. شخص واحد فقط يجتمع فيه أبيك وأمك وأختك وأخيك وصديقك وجارك وزميلك.. هو كل الناس. ولو اجتمع كل الناس ليُسرُّوا عنك ويملأون وقتك لما تساوى ذلك مع دقيقة واحدة مع من تحب.. ولو اجتمعت لك أسباب القوة من مال وسلطة وعِزْوَة لِطَمْأَنَتِك لما تساوى ذلك مع مجرَّد تواجد من تحب بجوارك.. مجرَّد تواجده.

♡ ♡ ♡

.. ولهذا نحتاج للحب.. ولهذا كانت نقطة البداية حب.. القطرة الأولى من الحب التى تنزل من ثدى الأم مع القطرة الأولى من لبنها فى حلق وليدها.. إحتواء ودفء.. ونظرات حانية وصوت حنون وصحبة دائمة.. كل شيء يبعث على الطمأنينة وخاصة أنه حب غير مشروط.. حب بدون مقابل.. حب مُطْلَق.. حب لهذا الوليد الضعيف.. فإذا الضعف يستحيل قوة.. وإذا الخوف يستحيل طمأنينة. وإذا الألم يَعْقبُه لذّة.. وإذا البكاء يَعْقبُه إبتسام.

ويا ويلتنا حين تختفي الأم عن ناظرينا.. أيُّ أحاسيس فزع وخوف تنتابنا.. وأيُّ لهفة. وأىُّ سرور وأيُّ طمأنينة حين نلتقي بوجهها مرة ثانية وتضمنا ذراعيها..

هذه هى القطرات الأولى من الحب والتي تستمر كنهر متدفّق لا يهدأ حتى آخر يوم فى عمرها أو في عمرنا.. ذلك هو النموذَج الأول والأكمل للحب.

♡ ♡ ♡

.. ونمضي فى رحلة الحياة.. مع الغرباء.. ولا تفارقنا أحاسيس الضياع.. الوحدة.. العزلة.. الانفصال.. وترقُّب دورة الحياة.. بداية ونهاية.. ميلاد وموت.. من ضعف إلى قوة نسبية قد تكون وهمية الى ضعف وفناء. ونفزع.. نخاف.. ومع قسوة الطبيعة وقسوة القلوب نكتئب.. يزداد إحساسنا بالعزلة وبالفناء..

والعَجَلَةُ تدور.. تُسرع فى دورانها.. لا تتوقف من أجل أحد.. لا تتوقف إذا سقط أحد.. وتُسرِع أكثر وأكثر.. وكلما تقدَّمَ العِلْمُ نصبحُ أقرب وأقرب الى الجنون.. فإذا لم نجرِ بالسرعة الكافية

دهستنا العَجَلة أو سقطنا ولم يلحظ سقوطنا أحد.

♡ ♡ ♡

.. حتى نلتقي به.. نراه أمامنا على حين فجأة.. فيعاودنا إحساس قديم كنا قد نسيناه. إحساس رائع هو مزيج من الطمأنينة الشديدة والفرح الشديد حين غابت أمنا عن عيوننا فضِعنا ثم فجأةً رأيناها.. هذه هي اللحظة الوحيدة التي اجتمع فيها قمة الطمأنينة وقمة الفرحة وما أروعه من مزيج يجعل كل شيء جميلاً وبديعاً.. قمة المشاعر البشرية. قوة وطاقة وحيوية وأمل وخلود.. لا شيء في الدنيا كلها يستطيع أن يمنحنا هذا الشعور.. لحظة أن تلتقي بوجه أمك بعد ضياعها منك. قد يحدث هذا في لحظتين متتاليتين خاطفتين تعقب إحداهما الأخرى. لحظة يغيب عنك وجهها أو تختفي كلها.. كانت أمامك وأدَرْت رأسك فلم تجدها.. يهبط لحظتها في قلبك كل خوف الدنيا وكل يأسها وكل ضياعها.. ثم تُدير رأسك في اللحظة التالية فتراها فيقفز كل شيء فيك فرحة وانتصاراً.

.. هكذا نشعر حين نلتقي بمن نحب في أول مرة. في لحظة واحدة ينتابنا هذا الشعور العميق الذي كان نائماً في أعمق أعماق الباطن.. فرحة وطمأنينة. بل أعلى درجات الفرحة والطمأنينة. وتلك هي الغرابة ومن هنا كانت الدهشة. فأيّ مشاعر تولد صغيرة وتنمو. والمشاعر يكون لها سبب مباشر وواضح. ولكن يا للدهشة فمشاعر الحب تولد في قمتها وبلا أسباب.

وحين ندرك أننا أحببنا نُدرِك بالتالي لماذا كنا نحتاج إلى هذا الحب وماذا فعل بنا هذا الإنسان الذي أحببناه.. أنه أزال شعورنا

بالوحدة.. أنه أزال كل مخاوفنا وقلقنا، أنه بدَّد يأسنا.. أنه جعلنا لا نخاف الموت ولا نضطرب لسرعة إيقاع الحياة، فإذا كل شيء يصبح مقبولاً جميلاً محتملاً.. كل شيء باسم.. كل شيء سهل نحبُّ الحياة.. نعيشها باستمتاع.. نجتهد.. نُبدِع.. نضيف.. نتعاون.. نحب الجار والزميل، بل نحب كل الغرباء.. يستحيل كل الناس الى أصدقاء لنا.. لا نخاف الناس بل نصبح قادرين على رؤية الجانب الطيِّب الخيِّر في كل الناس ونحاول أن نستثمر هذا الجانب ونستخرجه..

أنظر إلى وجهك حين تحب سترى أن ملامحك قد تغيرت. ستجد أن عضلاتك قد استرخت وأن ثمَّةَ بِشْر وتفاؤل يلوحان من وجهك كل الوقت دون أن تتعمَّدها. ثمَّةَ قَبول وترحيب.. تزول عن وجهك إمارات القلق أو الحيرة أو العداوة أوالعنف.. وستقبل مسيرة الحياة كما قدَّرها الله.. ستقبل الموت كحقيقة ماثِلة أمام عينيك في كل لحظة.. حقيقة أن يموت من تعرف من الناس أو حتى تموت أنت شخصياً.. إن ذلك لا يهمّ طالما أنك تَنْعَمُ بأعظم إحساس وهو أنك تحب وأن هناك من يحبك.. وتلك هي الحياة ومعناها ومغزاها.. وهذا يكفي.. وبذلك نعيشها حقاً.. ولأنه إحساس خالد فإن خلوده يستهين بزوال الجسد ذاته.

العشَّاق لا يَخْشَوْن الموت.. أما الذين يفتقدون الحبّ في حياتهم فإنهم يجزعون من الموت.. وستقبل ضعفك أمام قوى الطبيعة.. ستشعر أنك أقوى بحبك.. أقوى من البراكين والزلازل والأعاصير والفيضانات.. ينهزم أمامك الحرّ الشديد والبرد الشديد.. ستتحمَّل الصعاب بل والآلام والمِحَنِ والأمراض التي تُصيب الجسد.

.. إن طمأنينة روحك وفرحتها حين تحب تجعلك تعلو من على الأرض كمن يركب طائرة فيرى كل الأشياء على الأرض صغيرة.. لن تتوقف عند تفاصيل وتضاريس.. سترى الحقيقة الكُلّية الشاملة لمعنى الحياة والموت والصحة والمرض والمصيبة والنجاة منها.. تلك الحقيقة الكلية الشاملة التي لم تكن لتعرفها إلا حين التقيت بذلك المحبوب وهي أن المعنى الخالد وراء حركة الكون هو الحب وأنك من المحظوظين لأنك نعمت بذلك الحب.. أن ذاتاً إنسانية حرة أحبتك. وأنك كنت أيضاً قادراً أن تحب هذه الذات.. فعرفت كل شيء من خلالها.. عرفتها فعرفت الحياة وعرفت ذاتك.. وأنت أيضاً أتحت لها أن تعرف كل شيء.. تعرفك وتعرف الحياة ذاتها.. والمعرفة قوة وطمأنينة وفرحة.

♡ ♡ ♡

.. هذا الحب يُوجِّه مسيرتك في الحياة توجيهاً ايجابياً فتعتدل وتبدع.. تعتدل بمعنى ألاّ تتمادى.. فالضياع الذي كنت تحسّه قبل لقائك بالذات التي أحببتها يجعلك تندفع وتتمادى لتحاول أن تنسى.. تنغمس وتنغمر بكليتك تماماً.. تعمل كثيراً.. تقرأ كثيراً.. تسهر كثيراً.. تنام كثيراً.. تأكل كثيراً.. أي تطرُّف في كل شيء. تطرُّف في الوحدة أو تطرف في الاندماج مع الناس.. تطرُّف في العمل أو إهمال متناهي.. قد تلجأ إلى ما يغيب عقلك.. قد تنغمس في شهوات الجسد.. ولكن هيهات أن يرضيك شيء... هيهات أن يُشبعَك شيء.. هيهات أن يذهب عنك الخوف والقلق واليأس كلها أشياء وقتية يتبخَّر تأثيرها سريعاً وتعود الى حالتك الاولى.

.. ولهذا فحين تحب فإنك تعتدل.. لا يصبح هناك أي ضرورة للتطرّف أو الانغماس أو المبالغة. يهدأ إيقاعك وترى الأمور على

حقيقتها وبواقعية وتتعامل معها حسب ما تستحقّ وحَسْبَ قَدْرِها.

.. تنتظم حياتك مثلما ينتظم إيقاعك الداخلي، أي إيقاعك البيولوجي وإيقاعك النفسي.. جميع أجهزة جسمك تنتظم.. وجميع تفاعلاتك الروحية والنفسية مع عالمك الخارجي تنتظم.. قبل أن تلتقي بمن تحب كانت أنفاسك تسرِع أحيناً فتلهث وتبطيء أحياناً إلى حد الموت.. أما الآن فإنك تتنفّس لأنه أمر طبيعي أن تتنفّس ولا تشعر أنك تتنفّس.

.. تعتدِل في علاقاتك بالناس.. تصبح غير محتاج إلى أن تندمج معهم إلى حد الانصهار والضياع في وسطهم.. وتصبح أيضاً غير محتاج إلى أن تنعزل وتتعالى وتحاول أن تتميّز وتتفرّد وتنتصر عليهم وكأنهم أعداء متربصين أو حاسدين حاقدين متلهّفين للسخرية منك.

.. تعتدل في عملك.. وثمّة شيء جديد يطرأ عليك هو صفاء الذّهن والقدرة على الرؤية الأعمق والفَهْم الأشمل.

تُراودُك أفكار جديدة وتكتشف بنفسك علاقات جديدة ومثيرة بين الأشياء، ويصبح لديك الرغبة القهرية للاهتمام بالجانب الجمالي بالاضافة الى الجانب العملي.. أصبح الكمّ لا يعنيك بقدر اهتمامك وعنايتك بالكيْف.. وتلك هي اللّمسة الابداعية في الحب.. أن تهتمّ بالجديد، بالجميل. فالحب ذاته هو قِمّة الابداع.. وهذا هو سحره وتأثيره على الإنسان.. يخلق الإنسان من جديد. ولهذا يحاول الإنسان أن يخلق الأشياء من حوله بطريقة جديدة. إنه متعة للنفس وسكينة للروح وصفاء للعقل.. قِمّة التناغم الإبداعي.

♡ ♡ ♡

.. والمحبون مرحون.. والمرح مردّه الفرح والسعادة والسرور الذي يشعرون به.. فالروح المسرورة هي روح مرحة.. ولهذا فالمحبون دائمو الابتسام.. ومن السهل أن يضحكوا. والضحكة تكون صادرة من أعماق القلب. ولذلك فالفكاهة الحقّة تكون صادرة من المحبين أو على الأقل من إناس لديهم القابلية للحب.. لا مرح مع الجمود العاطفي، ولا مرح مع الكراهية، ولا مرح مع الإحساس بالوحدة والانعزال والخوف واليأس.

♡ ♡ ♡

.. ومع الحب لا تتمادى إطلاقاً في مشاعر العداء والعنف والقسوة.. وأيضاً لا تتمادى في الاستسلام والانكسار.. تصبح أكثر شفقة.. أكثر تعاطفاً. أكثر تسامحاً.. أكثر تقديراً لظروف الآخرين وضعفهم.. وتصبح أقرب الى عالم النفس المتخصص الذي يفسر سلوك الآخرين الخاطىء، فيرى أنهم قد يكونوا مدفوعين قهراً لمشاكل متعلقة بطفولتهم أو ليأس شديد أو لشذوذ غير إرادي في تكوينهم.. ولهذا فأنت وأنت تحب تحاول أن تفهم وتفسر وتعذر لتسامح وتغفر. وتلك إحدى نفحات الحب. وهي نفحات إلهية. الرحمة والتسامح والمغفرة.

ولذلك فالحب يُحقّق للإنسان إنسانيته الحقّة يسمو به ليصبح أقرب الى السماء من الأرض.. ومن النور الى التراب.. ولذلك نستطيع أن نقول أن رحمة الله التي ينشرها على عباده ومن خلال عباده تكون عن طريق المحبين أو المهيأة قلوبهم للحب..

وبذلك فإن العالم يصبح وحدة واحدة من خلال عاطفة الحب التي تجمع بين كل قلبين من البشر.. لولا الحب لاحترق العالم..

فالحب هو القوة المناهضة للشر.

الحب هو الحل الأمثل لمشاكل الإنسان على الأرض.

الحب هو الضمير الإنساني.

الحب هو الوصلة التى تصل الأرض بالسماء، وترتفع بأهل الأرض في طريق رحلتهم الى السماء.

.. بالحب تصبح فرداً.. ذاتاً.. مستقلاً.. حراً.. مبدعاً.. تصبح أنت. وبالحب أيضاً تصبح جزءاً من النسيج البشري المتماسك المتآزر.. تشعر بإنسانيتك وأنت ذات متفردة تحب وتحب وتشعر بإنسانيتك وأنت ذائب مع مشاعر البشر ومشاكلهم.

وما أحوج الإنسان المعاصر إلى هذا الحب.. الإنسان المعاصر ضائع في الزّحام البشري. ترسٌ صغير في عَجَلَةٍ هائلة.. نقطة في محيط إن ضاعت لا يهمّ.. ولكي لا تضيع يجب أن تذوب في المحيط وتتوحّد بمياهه.. الى أن يمتثل، ولكي لا يضيع عليه أن يقدم أحسن ما عنده، إنه مجتمع العرض والطلب.. مجتمع مسابقات الجمال وشركات السلاح والمخدرات والعنف.. مجتمع مضادات الألم والأقراص المنوّمة والحبوب المهدئة.. مجتمع عبادة الآلة.

ويأتي الحب ليقول للإنسان : إنك ما زلت إنساناً.. أنت لست آلة.. أنت محبوب وقادر على أن تحب.. أنك مرغوب لذاتك لأنك أنت.. ليس مطلوب منك أن تبذل مجهوداً لكي يحبك أحداً.. يكفي أنت.. مجرد أنت كما أنت.. بشكلك المتواضع وإمكانياتك المحدودة.. مطلوب فقط براءتك وتلقائيتك وعفويتك وبساطتك.. يأتي إنسان ليقول لك : أحبك.. هنا تشعر أنك أهم إنسان في العالم.. أنك ملك الملوك.

أنك ذات متفرّدة مستقلة حرة قادرة على العطاء وقادرة على الأخذ دون أن تتوقع أن يُطلب منك مقابل.. هنا تختفي الحيرة والتوهان.. هنا يثوب الإنسان إلى رشده.. يسترد وعيه.. يملك زمام ذاته.. يفيق من خمر أبخرة المصانع ودخان القنابل وعادم السيارات وحبوب تسكين الآلام والمهدئات والمنومات.

هنا يتحرر الإنسان ويستردّ حريته المفقودة ويهتف : أنا.. ولولا أنت لما كنت أنا.. ولولا أنا لما كنت أنت.. أنت مرآة ذاتي وأنا مرآة ذاتك.. أنت اختياري المطلق وأنا اختيارك المطلق.. أنا أسيرك بحريتي وأنت أسيري بحريتك.. أنا أذوب فيك بإرادتي وأنت تخضع لي بإرادتك.. أنت اخترتني من ضمن كل الملايين لأنني بالضرورة شيء نادر أستحق حبك وأستحق إخلاصك وأستحق عطاءك.. وأنا اخترتك من ضمن الملايين لأنك بكل تأكيد شيء نادر تستحق حبي وتستحق إخلاصي وتستحق عطائي.

.. أحبك بمعنى أنني أميل اليك ميلاً عظيماً ولا أستطيع الاستغناء عنك ومستعدٌ لأن أفديك بروحي.. وأحترمك وأتحمل مسؤوليتك بالكامل.. وسأبقى معك حتى الموت..

♡ ♡ ♡

.. وهكذا يربطنا الحب بالواقع.. ولكننا في نفس الوقت نحتاج للحب لنهرب من الواقع.. لنحلم.. ليستغرقنا الخيال الجامح فننفصل تماماً عمن حولنا. نهرب وننعزل ومعنا من نحب.. نعيش لحظات خاطفة من عمر الزمان مُحلّقين بأجنحة الحب في سماء الخيال والرومانسية..

نهرب من اجسادنا ونستحيل إلى كائنات من نور..نتوحّد مع الملائكة ونتوحّد مع الطبيعة.. مع النهر.. مع الزهور.. مع النسيم.. مع الشعر.. مع الموسيقى. إنه عالم سري لا يعرف الطريق إليه إلا المحبين. إنه عطر غير متواجَد في الأسواق. عطر يفوح من القلوب العاشقة فُيدير الرؤوس ويُحقق أعلى درجة من الانفصال عن الواقع والتحليق إلى بعيد.

إنها لحظات الصفاء والهَيام والشوق.. لحظات الذّوبان.. إنها اللحظات التي ينتقل فيها المحبون مؤقتاً بفعل النفحات الآلهية إلى جنّات الخلد والنعيم..وتلك هي الصلة السحرية بين الحب والفن.. ففي الحب شيء من الفن وفي الفن شيء من الحب.. الفن سحر وجمال.خلود وكمال.. خيال أقرب إلى الواقع وواقع أقرب إلى الخيال.. الفن هو خَلْق لواقع جديد فالواقع القديم بتناقضاته وصراعاته هو الباعث على الفن. وهكذا الحب أيضاً. الحب نزوع نحو الخير والجمال.. نحو الخلود والكمال. الحب بحث عن الطمأنينة والفرح.. الحب خيال أقرب إلى الواقع وواقع أقرب إلى الخيال أوهو الواقع والخيال معاً.. الحب هو خَلْق لواقع جديد فالواقع القديم بتناقضاته وصراعاته وماديّته وقسوته ولا إنسانيته هو الباعث على الحب.

والمحبُّون يعشقون الفن. والفنانون يتوقون إلى الحب ولا إبداع حقيقي إلا من خلال حب.. وفي الحب سر وغموض.. وفي الفن سر وغموض.. هناك بإستمرار بعدٌ غير مرئي بعدٌ متروك للانسان أن يبحث عنه ويخوض فيه ويحاول كشف سره والوصول إلى مغزاه والتحقق من معناه.. يظلُ مخفياً، وكلما توغل الانسان كلما

ابتعد. وكلما شرب كلما عطش. كلما أكل كلما جاع. أبداً لا يمتلكه بين أصابعه وابداً لا يستوثق من الإلمام بِفَهْمِ والإحساس به.. ولذلك فالشوق متجدِّد.. والإلهام لا يموت.. والحب لا ينتهي.. إنه السر الخالد.. وهو أيضاً سر الخلود.

.. ويحتاج بعض الناس للحب (وهم المؤهلون بحكم تكوينهم للحب) لأنه يتجاوب ويتوافق مع نوازِع نفوسهم وميلهم نحو المثالية والرغبة في وجود دستور أخلاقي غير مكتوب بين البشر، ولأنه يحقق رغبة نحو السمو ورغبة في المثالية.. ولهذا فالحب وثيق الصلة بالفضيلة.. لا انحراف مع الحب ولا شذوذ مع الحب.

ولهذا قد يكون النَّسْق الأخلاقي لبعض الناس في بداية حياتهم مختلاً ولكنه يصبح شديد الانتظام بعد أن يحبوا.. يحدث تغيير شامل في سلوكهم وذلك بعد أن اطمأنت النفس وهدأت الروح وصفى العقل واسترخى الجسد.

إن الحب يؤدِّي إلى التوازن النفسي والبيولوجي وبالتالي إلى التوازن الأخلاقي.. ولهذا فالحب يُقوِّم المنحرف، ويهذِّب الشاذ ويُطهِّر المتدنِّس وذلك حين يكون لديهم الاستعداد لذلك.. أي حين يكون لديهم الاستعداد الكامن للحب والذي يتفجَّر حين يلتقي بالنصف الآخر المُكمِّل الذي إذا التحم به غيَّر من طبيعته النفسية والبدنية أو بالأحرى أعادها إلى طبيعتها الطيبة الخيِّرة المتطهرة..

♡ ♡ ♡

.. ولأن الحب مُنافٍ ومناهض ومناقض للأنانية فلا خير يعم إلا من خلال الحب.. ولهذا يصبح الطموح الأسمى للبشرية بأسرها هو

الحب حين تريد لنفسها ولمستقبلها خيراً.

♡ ♡ ♡

.. إذن الحب هو الجنة على الأرض..هو مقدمة للنعيم الخالد المقيم في جنات الله.. هو جذورنا التي تُثبت أقدامنا على الأرض وهو الأجنحة التي تطير بنا إلى السماء، وهو الظّلال الوارفة والثمار الناضجة التي تُظلّلنا وتطعمنا.. هو السّكنى والمأوى والملجأ.. هو الحرية والإرادة وتحقيق الذات.. هو الاستمرارية والخلود. هو ماص الصدمات ومنظّم التقلّبات ومهدّىء السرعات.. باعث الطمأنينة وجالب الفرحة ومبهج النفس ومريح الخاطر.. وهو الملاذ وهو الثابت وهو المطلق وهو اللامتناهي.. هو الماضي الحاضر والمستقبل.. هو المثالية والأخلاق.. هو الاخلاص والوفاء أي كل القِيَم مجتمعة.

♡ ♡ ♡

.. الحب هو أنت يا من أحببتني لأنك جئتني قبل أن يجيء الحب.. فالحب بك ومنك ومن أجلك.. أنت الحب..بل أنت فوق الحب.

٤

الحب والنضوج

أنا من غيرك يا كوبه
ليل من غير قمر
مركب من غير شراع
نبات محتاج مطر
أحمد

♥ .. قد يبدو ظاهرياً أنك اخترت بإرادتك أن تكون عاشقاً أي أن تحب.. ولكن في حقيقة الأمر أن الحب هو الذي اختارك وذلك لأنك أهل لأن تُحب وأن تكون محبوباً.. أي لتخوض أعظم وأعمق تجربة إنسانية وهي الحب.

والقادرون على الحب الحقيقي قليلون مثل كل شي ثمين.. الحب يحتاج إلى مؤهلات معينة.. سمات خاصة في الشخصية.. ومعظمها سِمات ومؤهّلات غير مُكْتَسَبَة.. معظمها يرِثُها الإنسان. أي يولد بها.. وقليل منها يكتسبه الإنسان في طفولته المبكِرَة عن طريق الأسرة والمجتمع أي البيئة المحيطة.

.. وإذا فهمنا طبيعة الحب الحقيقي فإننا نستطيع أن نتوقع تلك السِّمات التي تؤهل أي إنسان ليخوض هذه التجربة السامية.

♡ ♡ ♡

.. الحب الحقيقي ليس هَزْلاً.. ليس عَرضاً مؤقتاً.. ليس مَيْلاً عاطفياً مجرداً.. ليس نزوة.. ليس رغبة..ليس عبثاً ليس تسلية.. ولكنه

تجربة استيعابية شاملة مركزها جوهر الإنسان وذاته ووعيه.. مركزها الباطن وتشمل كيان الإنسان كله أي الفكر والوجدان والسلوك، ولذلك فجوهر تجربة الحب الحقيقي هو الصدق. وإذا كان الموت هو الحقيقة المؤكدة الماثلة أمام أعين البشر وتؤثر تأثيراً ضخماً في حياتهم وهي ذات مغزى، فإنه على الطرف المقابل يأتي الحب الحقيقي ليصبح هو الحقيقة الأخرى المؤكدة والتي تؤثر في حياة البشر تأثيراً ضخماً وتحمل جلّ المعاني.

.. إذن فالحقيقتين الثابتتين في وجود الإنسان هما الحب والموت.. مركزا الحياة.. ومعنى الحياة.. يُحددان مصير الإنسان ويُشكلان وعيه ورؤياه وفلسفته ويؤثران على إدراكه وفهمه وسلوكه.. لحظة الحب الحقيقي هي لحظة الصدق. ولحظة الموت الحقيقي هي لحظة الصدق.

.. ولهذا فإن تجربة الحب الحقيقي لا يقوى عليها إلا إنسان صادق.. هذا هو الشرط الأول والأساسي. الحب الحقيقي يدلُ على صدق الإنسان الذي يُعايشه. والإنسان الصادق يُدلّل على أن حبه هو حب حقيقي. لا يمكن لكاذِب أو مخادع أو منافق أو غشّاش أو نصّاب أن يعيش تجربة صدق.. ولا يمكن للتجربة الصادقة أن تتحقق من خلال كاذب أو مخادع أو منافق أو غشّاش أو نصّاب.

♡ ♡ ♡

.. وإذا كان جوهر الحب الحقيقي هو الصدق فإن جوهر الصدق هو الصدق مع النفس.. إن الصدق مع الذات هو أسمى وأعلى مراتب الصدق بل هو قلب الصدق.. فلا صدق بدون صدق مع

الذات، والصدق مع الذات يتطلب وعياً.. نضجاً.. استبصاراً.. شجاعة.. خبرة.. ثقة بالنفس.. فالصدق مع الذات هو القوة الحقيقية.. رمز القوة في الإنسان. من هو أقوى البشر؟ إنه الإنسان الذي يتمتع بأكبر درجات الصدق مع الذات.. إنها البصيرة.. القدرة على النفاذ إلى الداخل.. السيطرة الكاملة على الوعي.. الفهم الحقيقي.. إنه التحرك مع الداخل إلى الخارج.. من المركز إلى المحيط.. من القلب إلى الأطراف.. من الباطن إلى السطح. وتلك هي الحركة الطبيعية في الكون كله، وذلك هو الناموس الطبيعي الذي حدّد الله به وعلاقة الأشياء ببعضها وعلاقة كل شيء مع نفسه.

وهذه هي الصورة المُثلى الطبيعية التي صيغ الإنسان عليها.. أن يكون له وعي وحين يكون هذا الوعي صادقاً فإنه يُحدّد حركة الإنسان الطبيعية في الحياة بأن يكون هو مركز هذه الحركة. وبذلك يكون هذا الإنسان منسجماً مع كل ما هو طبيعي وصادق في الحياة.. ولهذا لا نتوقع منه إلا الصدق.. ولهذا فإنه في لحظة ما يستطيع أن يحب.. أن يختاره الحب حين يُمهّد له اللقاء مع ذات إنسانية أخرى تتحرك هي أيضاً من وعيها الصادق.. وبذلك يكون الحب الحقيقي التقاء ذاتين.. التقاء وعيين.

♡ ♡ ♡

.. لا يمكن أن يتحقق حب حقيقي بين اثنين إلا إذا تحرك كل منهما مع الداخل. من مركز الوعي.. أي لا بد أن يكون كل منهما صادقاً مع ذاته.. وبذلك يتحرك كل منهما نحو الآخر وكأنه مُساق.. مدفوع.. كأن يداً خفيّة تدفعه ناحية الآخر.. يتحرك

بحَدْسِه.. بإلهام معيّن. بقوة غير مرئية. بَصيرته هي التي تقوده.

.. إن لحظة الصدق التي يشعرها كل منهما ناحية الآخر في لحظة اللقاء الأول أو في هذا الجزء من الثانية هو الذي يحدد مسار العلاقة بعد ذلك وهو الذي يجعل كل منهما يتوقف عند الآخر.. يندهش.. ينبهر.. تتحرك كل أجهزته تهيوءاً للحدث العظيم.. يشعر أنها أهم لحظة في حياته.. بل أخطر لحظة في حياته.. منعطف هام.. نقطة تحوُّل جذرية.. يرى أن المستقبل الحقيقى يبدأ من عند هذا الجزء من الثانية.. إنها لحظة كَشْفٍ.. وتتسلّط الأنوار كلها عند هذه البقعة من وعيه.. ويقترب دون خوف بجرأة قد تكون غير معتادة.. بثقة.. بتحدٍّ.. بشجاعة.. لا يمكن أن يترك هذه اللحظة من الزمان تفلت منه لأنه يريد أن يربطها بكل لحظات حياته المستقبلية.. وذلك تأكيداً للصدق.. لصدقه.. أي لتحركه من مركز وعيه.. فالصدق يجعله شجاعاً جريئاً واثقاً.

♡ ♡ ♡

.. في اللحظة الأولى أو في هذا الجزء من الثانية ينتابه شعور الفرحة ممزوجاً بالطمأنينة، ويندهش حين يتولد لديه شعور آخر غير مفهوم بأنه يعرف هذا الإنسان من زمن بعيد.. ألفة غريبة يشعرها مع هذا الغريب الذي لم يكن يعرفه من قبل والذي التقى به منذ لحظة واحدة.. ويتولّد لديه شعور آخر أكثر غرابة بأنه سوف يظل يعرف هذا الإنسان بقية حياته من خلال علاقة قريبة جداً.

♡ ♡ ♡

ولذلك فإننا حين نقول لإنسان إنضج فهذا معناه : كن نفسك..

وهذا معناه أيضاً : كن صادقاً مع ذاتك.. أي تَحرَّك من داخلك.. تَحرَّك من صميم ذاتك ومن مركز وعيك بفهم كامل وبصيرة.. بذلك تكون أصيلاً فهذه هي الأصالة.. بذلك تكون ناضجاً.. أي مؤهلاً للحب الحقيقي. أي أن تكون إنساناً حقيقياً.

♡ ♡ ♡

.. الإنسان الحقيقي هو الإنسان القادر على الحب.. هو الانسان المؤهَّل لأن يُحب وأن يكون محبوباً أما الإنسان المزيف فهو غير قادر على الحب.. ليس مؤهلاً لأن يُحب.. قد ينخدع بمظهره إنسان بسيط فيُعجب به لحين، وقد يخدع هو الآخرين بعواطف زائفة.. ولكنه سرعان ما ينكشف أمره.. ولهذا ينتقل من علاقة إلى علاقة تحت مُسمَّى الحب.. ولكنه حب زائف. وهو لا يستطيع أن يحب لأنه لا يستطيع أن يعطي نفسه بالكامل. في الحب الحقيقي فإنك تعطي نفسك بالكامل لمن تحب أي تهبه حياتك..

.. الانسان الحقيقي المؤهَّل للحب هو إنسان كريم سخي مِعطاء.. سعادته الحقيقية في العطاء.. الإنسان البخيل هو إنسان أناني نرجسي.. والأناني لا يحب.. والنرجسي لا يحب.. الأناني النرجسي يريد كل شيء لنفسه، ولايرى إلا نفسه ويريد أن يُسخر من الآخرين لخدمته.. لا يأبه لمشاعر الآخرين وآلامهم.. ولذلك فهو معزول نفسياً.. لقد أقام جداراً خَرَسَانياً صلباً بينه وبين الآخرين.. بينه وبين جيرانه وزملائه وأقاربه، ولذلك فهو غير مؤهَّل وغير مُدرَّب لأن يلتقي بتلك الذات الإنسانية التي تجبره علي هدم ذلك الجدار الذي يفصله عن الناس. وهو غير قادر على أن يثير الحب في صدور الآخرين.

هناك بشرٌ يملكون هذه المقدرة العجيبة على تحريك مشاعر الآخرين إيجابياً تجاههم.. قادرين على تحريك العواطف. قادرين على إشعال نار الحب في قلوب الآخرين. ثَمَّةَ نور أو قُل إشعاع يصدر عنهم.. هالة تحيط بهم.. سر غامض لا تستطيع أن تدركه أو تفسِّره.. يجعلهم يستقرون على مقعد قلبك الرئيسي بمجرد أن تراهم وربما لأول وهلة.. بينما الأناني النرجسي يفتقد هذه المقدرة تماماً.. قد يثيرك جماله، وقد تُعجَب بنجاحه، وقد تنبهر بذكائه ولكنه أبداً لا يحرك قلبك..

.. والإنسان الكريم لا يكون كريماً مع حبيبه فقط ولكنه موقف عام.. أسلوب حياة.. فلسفة خاصة.. هكذا هو من قبل أن يلتقي بمن يحب.. وهو موقف قائم على الإحساس بالآخرين.. الإحساس بالبشر والشعور بالمسؤولية تجاه الإنسانية عامة.. إنه يشفق ويعطف من قبل أن يعرف الحب طريقه إلى قلبه.. وهو أيضاً يحترم الذات الإنسانية.. ينظر إلى البشر على أنهم ذَوَات حرة مستقلة تحمل نزوعاً للخير يفوق نزوعها للشر.. ولذلك فقدرته على التسامح عالية.. لا يَنصِّب نفسه قاضياً أو جلاّداً.. ولا يترفَّع أو يتعالى أو يتكبَّر.. ولهذا فالتواضع من صميم صفاته.. المتكبر لا يستطيع أن يحب، والمغرور لا يستطيع أن يحب ولا يستطيع أحد أن يحبه.. إنها صفات تزيد من الهوَّة التي تفصل بين نفوس البشر..

♡ ♡ ♡

.. الإنسان المؤهَّل للحب لا يتمادى في عداء.. ولا يلجأ إلى العنف.. ولا يُخطِّط لإيذاء.. ولا يسعد بمصيبة آخر.. ويهبُّ عن

طواعية وطيب خاطر لمساعدة من يحتاجه أو من يلجأ إليه... لا توجد لديه ميول ساديّة على الإطلاق ولهذا فهو يتّسِم أيضاً بالشجاعة.. شجاعة مصدرها قوة إيمانية.. إيمانه بالله. ولهذا فهو يحب كل مخلوقات الله ويتعاطف معها ويحترمها.. ولذلك يهتم بأن يكون له دور إيجابي في الحياة. يرفض أن يكون سلبياً ويرفض أن يكون عاطلاً ويرفض أن يكون متجمّداً.. فهو إنسان نَشِط.. إنسان منتج.. إنسان يعمل.. حركة للامام ولأعلى.. حركة إيجابية هادفة.. ولذلك فهو حين يحب فإن حبه يكون حقيقياً.

فالحب الحقيقي ليس مجرد هوى وميل وانجذاب وتعلُّق وعاطفة.. الحب الحقيقي هو موقف واتجاه وحركة وفعل.. حب يمتد نحو العالم..

.. وهو يتخيَّر الأخيار لصحبتهم.. لا تقوى روحه على مصاحبة أو مُزاملة خبيث أو مخادع أو منحرِف أو متكبِّر أو أناني.. الإنسان الحقيقي يحيط نفسه ببشر حقيقيين..

♡ ♡ ♡

عالم الحركة والفعل والفكر.. الحب الحقيقي يشمل بناء الشخصية ذاتها وإرتباطاتها بعالمها المحيط.. الحب الحقيقي الصادر عن إنسان حقيقي هو فعل إبداعي لأنه يتضمن ارتباطاً روحياً عميقاً بذات أخرى تتمتع بالنضج قادرة على العطاء المطلق والإحساس بالمسؤولية وإحترام البشر والتعاطف معهم.. ذات مؤمنة متواضعة شجاعة..

♡ ♡ ♡

.. هذا هو مفهوم النضوج والذى يجعل الإنسان صادقاً يتحرك من جوهر ذاته.. أي إنسان حقيقي.. إنسان يتمتع بصفاء روحية سامية تتضاعف عشرّات المرات وتتأكد وتثمر حين يلتقي بنصفه الآخر.. توأم روحه.. فيتاح حينئذ لفيض الخير الذي بداخله أن يجد من يتلقاه كالنهر السخي الذي لا بد أن يجد أرضاً صالحة طيبة تتشرب مياهه وتزدهر بها.. ولذلك فالحب الحقيقي هو خبرة إبداعية.. والمحب هو أقرب إلى الفنان أوهو عاشق للفن.. والفن عنده أسلوب حياة.. إن تناوله للحياة هو تناول الفنان الذى يعطي كل اهتمامه لفنه.. عمله حتى وإن كان بسيطاً يحيله إلى فن.. يؤديه بإستمتاع وإتقان وإخلاص ويضفي عليه لمسات جمال..

.. حواره فن فهو لا يتلفظ إلا بكل ما هو جميل.. ذات معنى ومضمون إنساني فكري حتى وإن كان متواضعاً عمله وثقافته.

.. علاقاته بالآخرين من أغراب وجيران وزملاء وأصدقاء وأقارب فيها فن أيضاً.. فهي علاقات تتّسم بالبراءة والبساطة والتلقائية والمباشرة والبعد عن سوء الظن وافتراض الخير كأساس لكل علاقة إنسانية. فن يتبدّى بوضوح في مودته التي تصبغ كل علاقاته الإنسانية بكل الطبقات الاجتماعية..

وهو يتغير الأخيار لصحبتهم: لا تقوى روحه على مصاحبة أو مزاملة خبيث أو مخادع أو منحرف أو متكبر أو أناني. الانسان الحقيقي يحيط نفسه ببشر حقيقيين.

♡ ♡ ♡

.. والإنسان الحقيقي هو الإنسان القادر على اتخاذ قرارات حقيقية.. أي القرارات الصادقة. الحقيقة والصدق وجهان للشجاعة. إذن هو إنسان حقيقي.. أي صادق.. أي شجاع..

.. قراره حقيقي أي صادر منه هو.. من داخله.. من بؤرة ذاته.. وعين عقله.. وقلب باطنه.. دون أن يخضع لأي مؤثرات خارجية.. ولهذا فاختياراته حرة مطلقة.. هو يتحمّل مسؤولية اختياراته.. ولهذا لا يتنازل عنها بسهولة إزاء صعوبات أو مشاكل تواجهه. أما الإنسان المهزوز الذي يبني مواقفه وقراراته على آراء الآخرين وتكون اختياراته خاضعة للإيحاء من الآخرين فإنه يتنازل عنها بسهولة.. ينقلب إلى النقيض في ثانية.. يتراجع عن قرارته ومبادئه لأنه يعرف أنها غير حقيقية وغير صادقة.. أي ليست نابعة من ذاته. ولهذا فالإنسان الحقيقي يدافع عن حبه.. يحافظ عليه.. يناضل من أجله.. ولذا فالحب الحقيقي يستمر مدى الحياة.. أما الحب الزائف فهو حب مرحلة.. متقلّب.. متغيّر.. هو الحب الذي من الممكن أن ينقلب إلى جفوة أو كراهية أو تبلُّد تام على أقل تقدير.

والإنسان الحقيقي بالرغم من أنه يتغيّر بمعنى أنه يتطور بل هو حريص على التطوّر إلا أن مبادئه الأساسية ثابتة.. جوهره ثابت.. ولذا فحبه ثابت.. فهو إنسان مؤمن بنفسه، ومؤمن بمن يحب. وهو حين اختار فإنه قد اختار بإرادته الحرة، اختار من صميم ذاته ولهذا فهو سيّد قراره..

قرار اتخذّه بوعيه الكامل.. أي يعرف كيف اتخذّه.. يستطيع أن

يلمس ذلك في أعماقه.. يعرف تماماً أنه صادر من أعمق أعماقه ولهذا فهو يتحمل كافة المسؤوليات المتعلقة. بهذا القرار. ولذلك من النادر أن يستشير أحداً إذا واجهته صعوبة أو مشكلة، ومن المستحيل أن ينصاع لرأي أحد يختلف مع رأيه أو يطلب منه التنازل أو التراجع عنه.. ولهذا فهو قد يتّهم بالعناد أو بالضعف.. والحقيقة أنه ليس كذلك.. فالتصميم على الرأي ليس عناداً بل إيماناً.. وعدم القدرة على التراجع عنه ليس ضعفاً بل قوة..

♡ ♡ ♡

.. والقرار الحقيقي يصدر عن شيئين : إلهام داخلي، وفهم للذات والموضوع.. فالإنسان الحقيقي لأنه يتمتع بالصفاء فإن له بصيرة أكثر عمقاً ووعياً.. يعتمد على حَدْسِه.. يهتدي إلى الطريق بفعل ضوء داخلي صادر من مكان ما في أعماق باطنه.. وهو يثق في هذا الإلهام وهذا الحَدْس ويمشي وراءه بثقة ويؤمن به عن إقتناع.. قد يبدو هذا اقتناعاً غير موضوعي ولكنه في الحقيقة يمثّل قمة الموضوعية لأن ذلك هو جوهر حياة الإنسان.. حياة باطنية وحياة خارجية.. حياة روحية وحياة مادية.. واقع ملموس وغيب غير مرئي.. وكلما كانت النفس مؤمنة صافية عامرة بالحب خالية من الحقد والحسد بعيدة عن الشر.. قريبة إلى الخير والتواضع.. كلما كانت أقدر على الاستشفاف والإدراك الخفي والرؤية الباطنية.. ولهذا فإن الإنسان الحقيقي حين يحب يُدرك حقاً أنه يحب وأن حبه حقيقي، لا أحد يهديه أو يدلّه على ذلك.. إنه يهتدي بنورٍ داخلي يصدر من مكان ما في أعماقه.. وهو يفهم ذلك تماماً.. أي يفهم نفسه.. أي هو مستبصِر..

.. وهو أيضاً قرار مبني علي فَهْمِه للإنسان وللموضوع.. أي للواقع المحيط.. فرؤياه ثاقبة مبنيّة على خبرة بريئة.. والخبرة البريئة هي القادرة على رؤية العلاقات الصحيحة بين الأشياء، أما صاحب الخبرة الخبيثة أو المبنيّة على خُبْثٍ أو التي أُكسبت الإنسان خبثاً وسوء نيّة فإنها ترى العلاقات مضطربة ومِعْوَجّة ومنحرفة ولهذا تكون علاقاته بالعالم الخارجي مبنيّة على الشكّ وسوء النيّة. ولهذا فهي علاقات مضطربة قلقة وتسبّب ألماً وتزيده حيرة وعداوة.

♡ ♡ ♡

.. الإنسان الحقيقي لكل هذا يدرك أن قراره قرار صحيح وأن اختياره اختيار حكيم.. ولهذا يشعر بالطمأنينة والفرحة.. وتلك هي المشاعر المباغتة التي تنتاب الإنسان حين يلتقي بنصفه الآخر وتوأم روحه للمرة الأولى. ولهذا يشعر بسعادة طاغية خالية من الخوف وبعيدة عن الشعور بالذنب.. سعادة تجسّد حريته المطلقة.. أما الإنسان غير الحقيقي فهو عبدٌ ذليل خائف ولهذا فهو لا يُثير حباً ولا يحظى بحب..

♡ ♡ ♡

.. وفي النهاية يهتف الإنسان الحقيقي صاحب القرار الحقيقي من أعماقه : أنا حر..

.. إذن الإنسان الحقيقي هو إنسان حر.. شجاع قوي.. ورغم قوته فهو متواضع.. وتواضعه هو مصدر رحمته.. وتلك هي الشخصية الثريّة السخيّة اللامحدودة الطموحة.. أما الإنسان الزائف هو إنسان فقير ومحدود.. ليس فقراً مادياً ولكن فقر في الشخصية. لا

يستطيع أن يتعد خارج حدود ذاته ولهذا من المستحيل أن يلتقي مع جوهر ذات أخرى..

وصحبته دائماً من الأشرار السيِّئين لأنهم يتكلمون لغة مشتركة.. مع السيِّئين يشعر بعدم التهديد.. لن يهدده أي حصار عاطفي.. الإنسان الزائف يخاف من حب الآخرين ويخاف من نفسه.. يخشى أن يقع في الحب.. وهو في الحقيقة لن يحب لأنه غير قادر على الحب.. وإذا تعلق بإنسان من الجنس الآخر فهو تعلُّق مادي.. مال أو جنس.. نفع أو شهوة.. أي قمة الفقر والزوال والعدميَّة ثم الحسرة.

٥

اكتشاف الذات

يا حبيبا زرت يوما أيكه
طائر الشوق أغني ألمي

♥ .. الحب يجعل الإنسان سعيداً.. إنه أقصى متعة روحية.. يلمس الإنسان بيديه وبروحه أعلى درجات السعادة.. وإذا تصورنا أن هذه السعادة معلّقة في السماء فإن يَديْ االإنسان وروحه تصلان فعلاً إلى السماء.. والغريب أن الإنسان حين يحب يشعر أنه وُلِدَ من جديد.. إن يوم ميلاده الحقيقي هو اليوم الذي التقى فيه بحبيبه.

.. لماذا ؟ لماذا هذه السعادة وتلك الفرحة القصوى والتي بلا حدود والتي لم يشعر بها من قبل والتي لا يعرفها ولا يتصورها أي إنسان لا يحب مهما كان يبلغ ويملك من كل أسباب السعادة التي نعرفها في الحياة.. ؟

.. إن السبب يكمن في أمر هام وفريد وهو أن الإنسان يلتقي ولأول مرة منذ أن وُلِدَ مع ذاته الحقيقية. يلتقي مع نفسه.. يرى نفسه من الداخل.. يكتشف أو يعثر على مركز وعيه، ومركز وعيه هو المحطة التي ينطلق منها إلى عنان السماء ليثمر ويبدع وينتج ويتحققّ ويكتمل ويمتلىء ويعطي ويسخو ويثرى. إنه يرى «أنا». يرى إمكانياتها الحقيقية.. يرى الخير والجمال الذي تحظى به ذاته

ولم يكن يُدرِكه أو يعرفه من قبل.. كيف ذلك..؟

إن فهم هذا يحتاج إلى قدر كبير من التخيُّل ولكي تُقرِّب الصورة فإن الأمر يشبه اللحظة الأولى التي يلتقي فيها الإنسان مع وجهه في المرآة.. المرآة التي تعكس صورة وجه الإنسان، فلنتصور إنساناً عاش في مكان لم تكن فيه مرآة.. وكبر هذا الإنسان دون أن يرى نفسه أبداً.. ماذا يشعر هذا الإنسان إذا أتينا له بمرآة يرى عليها صورة وجهه.. ستكون بالقطع لحظة اندهاش.. نشوى.. فرحة.. لحظة يعانق فيها نفسه.. يتعرف فيها على نفسه.. يصادق فيها نفسه.. يألف فيها نفسه.. ويهتف ويصيح «أنا». ويكون لكلمة «أنا» معنى جديد.. رنين جديد.. وما كان يمكن أن يعرف «أنا» هذه إلا من خلال المرآة.. المرآة العاكسة للصورة. ولهذا فكل إنسان محتاج لمرآة. وهذه هي الفائدة العظيمة للمرآة في حياتنا لكي يلتقي الإنسان مع نفسه ويألفها ويحبها ويكتشف الجمال الظاهر منها. وكل شيء عظيم يحتاج لمرآة تعكس صورته لكي يراها.. ولا شيء أعظم من الإنسان.. وليس مهماً هنا أن يكون دميماً أو جميلاً.. بل كل إنسان جميل. أو به جمال. أو أن هناك من يراه جميلاً. أو من يراه أجمل مخلوق. عين أخرى تراه هكذا. وبذلك تصبح عينا الإنسان الآخر مرآة أخرى يرى عليها الإنسان صورته. فالحبيب يقول لحبيبه بصدق : أنت أجمل مخلوق على وجه الأرض. وهذا حقيقي. وهذا صدق. ولا نقصد هنا الرؤية الداخلية ولكننا نقصد بالتحديد الرؤية الخارجية.

فالحبيب يكتشف الجمال الحقيقي لحبيبه. جمال شكله وملامحه : وكل عظيم وكل جليل يحتاج لمرآة تعكسه حتى يستطيع أن يرى ذاته وأن يتحقق منها وأن يحبها وأن يُعجَبَ بها.. الشمس بكل

جلالها وعَظَمَتِها محرومة من هذه النعمة.. ليت هناك مرآة كونية ضخمة تعكس الشمس حتى تستطيع هذه الشمس أن ترى نفسها..

.. وهذا ما يفعله الحب الحقيقي.. إنه مرآة الذات.. المرآة التي يلتقي فيها الإنسان مع نفسه.. مع ذاته.. مع جوهره.. مع وعيه.. مع «أنا».. أن تكون محبوباً من إنسان آخر معناه أن تكتشف جوهرك الحقيقي عن طريق هذا الآخر. وأن تحب إنساناً معناه أن تُتيح لهذا الإنسان أن يكتشف جوهره الحقيقي عن طريقك أنت..

.. هذا هو الحب.. ظاهرة تقابلية.. لغز متفرِّد يشاهد فيه جوهر إنساني جوهراً آخر.. وهكذا تتواجد «الأنا» من خلال تواجد «الأنت».. أو هكذا تتحقق «الأنا» من تواجدها من خلال تواجد «الأنت».. إنه تحقُّق متبادل للوجود. ويحِق للإنسان حينئذ أن يقول «أنا أحب إذن أنا موجود». بمعنى أنا أدرك ذاتي وأعرفها حق المعرفة وأعرف إمكانياتها وقدراتها.. أعرف سموّها ورِفعَتَها.. أعرف طموحها نحو الخير ونزوعها للجمال.

♡ ♡ ♡

.. في عملية الانعكاس أنا أُجرِّب وأتفهَّم للمرة الأولى تميُّز وعي الداخلي الحقيقي.. وهذه إحدى جوائز الحب العظيم التي يمنحها الحب للإنسان ويمنحها الحبيب لِحبيبه، وهي أن الإنسان يشعر بتفرده.. بتميزه.. بتفوقه.. بأهميته.. بقيمته الكبرى.. يشعر أنه ملك الملوك.. هكذا تنعكس ذاته وهكذا يرى ذاته على مرآة حبيبه. ولا يُصيبه ذلك بالدِوار والغرور وإنما يشعر بالتواضع.. بل بمزيد من التواضع لأن تفرده وتميزه وتفوقه الذي يشعر به إنما هو تفرد العقل والحِكمة والنضوج وذلك يقوده إلى التواضع بل قمة التواضع.

.. وأُنت أُيها المحب حين تُدرِك صورة ذاتك منعكسة على جوهر حبيبك ثم تُدرِك أن حبيبك يرى صورته منعكسة على جوهرك فإن هذا الإدراك المتبادل يجعلك أيضاً تشعر بمدى أهميتك في أن ذاتاً أخرى قد رأت انعكاس صورتها بفضلك وبسببك وبحبك.. إنك أسهمت في اكتشاف ذات أخرى.. أصبحت تُدرِك ذاتك وتدرك وجود هذه الذات الأُخرى.. إدراك الوجود المتبادل.

هكذا تشعر بذاتك وتشعر بالذات الأُخرى..والحال نفسه مع الذات الأُخرى إذ تشعر بذاتها وتشعر بذاتك أنت. وهكذا يكتسب كل منكما حساسية فريدة ناحية الطرف الآخر. تصل إلى قمة الإحساس به.. الشعور باحتياجاته وبذلك تكون الاستجابة الفوريّة لتلك الاحتياجات.. تقرأ بسهولة تعبيرات وجهه.. نظرات عينيه.. نَبرات صوته.. حركة جسمه.. هذا هو الحب.. الإحساس بالآخر.. الإحساس بتفرُّد الآخر.. الإحساس بحرية الآخر ووجوده كذات مستقلّة قادرة على أن تعكس ذاتك وأنت قادر على أن تعكس ذاتها.

.. هكذا يتعرف الإنسان على نفسه، ويصبح نفسه، ويتعرف على ماهيته، ويكون على بيِّنة من وعيه..

.. وهذا حدث كونيّ هام في حياة العشاق.. إنه ميلاد جديد.. فبعد أن تكتشف ذاتك، وبعد أن تتيح لإنسان آخر أن يكتشف ذاتك فإنك تكون قادراً على رؤية هذا الآخر بطريقة مختلفة.. تراه كما لا يراه أحد.. وهو يراك كما لا يراك أحد. ومن موقعكما الفريد، ومن توحّدكما وتفرّدكما في آن واحد، وبوعيكما الجديد أو بإدراككما لوعيكما الجديد فأنتما الآن تريان العالم بطريقة مختلفة.. رؤية جديدة.. أبعاد جديدة.. تجسيم جديد.. علاقات

جديدة.. مفاهيم جديدة.. رؤى جديدة.. إنه إشعاع الحب يفترش الكون والنابع من داخلكما. إنه شيء لا يوصف..

شيء غير قابل للشرح.. خِبرة لا نستطيع أن نُمسكها بأيدينا ولكننا نعيشها..

.. إذن الحب هو الحقيقة.. حقيقة أن يتعرف الإنسان على حقيقته من خلال إنسان آخر وأن يُتيح لهذا الآخر أن يتعرف على حقيقته..وبذلك يكون الطريق سهلاً وممهداً لفهم الحقيقة الكليّة للوجود.. هكذا تصبح أنت كالشمس التي اكتشفت ذاتها واكتشفت شمساً أخرى فأضاء الكون بشمسين لا بشمس واحدة.. نور ساطع باهر.. نور حقيقي.. نور الحقيقة وحقيقة النور.

♡ ♡ ♡

.. الحب هو تحققٌ.. تحققٌ للذّات وتحقُّق للكون.. وهذا هو سر الحب الأعظم.. الحب خَلْق للذّات.. الحب هو خلق لذاتك ولذاتٍ أخرى.. ولهذا فأنت حين تحب تقول بشعور يقيني صادق : أنا لا أتواجد بدونك يا حبيبي وأنت لا تتواجد بدوني.. وأنا وأنت نعتبر جوهر الوعي ولسنا أبداً مجرد أجساد أو كائنات تسعى بتلقائية وبدون وعي.. فنحن نحن.. نحن الإرادة.. نحن الوعي.. نحن الهدف. نحن العمل والإنتاج والإبداع والتطور والنضوج.. نحن نحب. نحب وجودنا. نحب الكون. نحب الحياة. نحب ماضينا وحاضرنا. نحب المستقبل.. والأمل متجدِّد.. لا يأس على الإطلاق.. ولذا فنحن سعداء.. قمة السعادة والفرحة نلمس نجوم السماء بأيدينا وبأرواحنا.

♡ ♡ ♡

.. ولذلك ينسجم الحب مع الطبيعة البشرية.. الطبيعة الفاهمة الواعية الباحثة عن أصل وجودها وسر تواجدها.. ولهذا فإن الإنسان حين يحب يبدأ بالادراك التام لجوهر الوعي وبالادراك التام لجوهر الآخر الواعي.. ثم ينتقل الحب بعد ذلك الى المشاعر فيهزّها ثم ينتقل الى الأجساد.. المشاعر والأجساد هي وسائل للتعبير ليس أكثر.. ثم يقود ذلك الى الزواج والأطفال والأسرة ولكن نقطة البداية الأصلية وصميم الحب هي مركز الوعي.. إنها نقطة الانطلاق الى العالم كله.. إنه العثور على الذات والعبور إلى ذات أخرى ثم العثور عبر الجسد إلى المجتمع والطبيعة وذلك بصحبة الذات الأخرى إنها حركة دائمة إبداعية.. نهر متدفّق سخيّ.. منبع متجدّد.. مجرى متحرك.. مَصَبّ مثمر.. إنه حياة.. حركة من الداخل إلى الخارج.. حركة إبداعية.. حركة أساسها العطاء والسخاء والأثمار والازدهار.

ولذلك لا يبدأ الحب أبداً بالشهوة الجسدية.. ولا بالانبهار الشكلي. أي أنه لا يمضي أبداً من الخارج إلى الداخل.. إن ذلك عكس قانون الحياة وضد الطبيعة البشرية السويّة.

إن حبّاً يبدأ بالرغبة الجسدية ليس حباً. الحب يبدأ من الجوهر.. من الداخل .. وهو اكتشاف لهذا الجوهر عن طريق الإنسان الآخر وإتاحة الفرصة لهذا الآخر أن يكتشف جوهره عن طريقك.. إنه التقاء جوهرين.. وعيين.. روحين. ومن الجوهر ينطلقان معاً نحو العالم ليدركاه من جديد.. ليكتشفاه.

.. إن الهزّة التي يستشعرها الجسد لذّةً حين يلتقي بحبيبه هي نشوة لقاء الروح.. عناق الداخل.. تمازُج الوعيين.. إنها خِبرة متفرّدة ومن الصعب وصفها.. إنها الخِبرة التي تُتيح الانصهار في عِناق

شديد مع الإبقاء على الفرديّة في الوقت نفسه وهذا هو جوهر الوجود كله.

.. وبذلك يستطيع الإنسان أن يصل إلى أعمق أعماق ذات حبيبه وأن يلمس جوهر وعيه ويشعر كلٍ منهما أنه أصبح تحت سيطرة الآخر تماماً إنه التقابل السامي لوعيين. وهذا التقابل هو الذي يمنح لكل شيء معنى.. كل فعل.. كل تفاعل مع الناس.. كل لقاء مع الطبيعة.. وأيضاً يُعطي للقاء الجسدين معنى وقيمة وينقل المتعة الجنسية من درجة الغريزية الى درجات أعلى وأجمل وأمتع لا يُدركها ولا يعرفها الا المحبون.

..وحين يحدث الانكشاف، انكشاف جوهر كلٍ منكما للآخر، واكتشاف كل منكما لجوهره بفضل الطرف الآخر تُبنى أقوى جسور الثقة.. الثقة بالنفس والثقة بالآخر.. ومصدرها الإيمان بالنفس والإيمان بالآخر.. ولذا فإذا قلنا أن هناك حباً حقيقياً بين اثنين فلا مجال إذن لمناقشة موضوع الثقة.. الثقة داخلة في نسيج الحب.

أنا أحبك.. معناها أنا أؤمن بك وأؤمن بنفسي.. أي معناها أنا أثق بك ثقتي بنفسي.. إنه الإشعاع الذي افترشت به النفوس نوراً فأتاح لكل محب أن يرى قدر الطهر في نفسه ونفس الآخر.. أن يرى هذا النزوع نحو المثالية وأن يدرك القيمة الحقيقية لذاته ولذات المحبوب.. ونصل بهذا الى أن دعامتا الحب وهما الطهارة والطمأنينة ما كان لهما أن يكونا إلاّ بفضل الإيمان.

.. وإذا كان داخلي متاح ومكشوف تماماً للآخر والذي بفضله عثرتُ عليه أنا أيضاً فإني أجد سعادتي وراحتي بالبوح له بكل شيء.. انفتاح وانكشاف كاملين.. أكون نفسي أمام حبيبي..

أكون أنا كما هو أنا.. أكون على طبيعتي.. لا أداري شيئاً ولا أخجل من شيء وهل يخجل الإنسان من نفسه !! وهل يخجل الإنسان من الذي أعانه على أن يرى نفسه!!

إن حبيبي هو حامل المصباح الذي أنار كل جنَبات نفسي وكل جنبات وجودي، وهو المُطّلع الأوحد علي كل خبايا نفسي، إنه الإدراك الكامل والمعرفة المُطلقَة التي تُحقق للانسان التوحد مع الآخرين.. إن ذلك يحقق للإنسان سعادة أن يكون نفسه وتحقق للإنسان ضَرْباً من الطمأنينة وتقضي على إحساسه بالوحدة.. إحساسه بأنه ذات منغلقة على نفسها.. إحساسه بالهوّة التي تفصله عن الآخرين.. إحساسه بالجدار الأصم بينه وبين الآخرين.. حين أحبّ انهدم الجدار واختفت الهوّة وانفتحت الذات على الأخرى.. ولذا نجد المحبين يجدون راحة كبرى في الكلام والبوح بكل أسرارهما.. يشعر كل منهما براحة كبرى وهو يحكي أدق تفاصيل حياته الماضية والحاضرة.. لا خجل ولا حياء بين المحبين.. يشعر الواحد منهما أنه يحادث نفسه.. فحبيبه هو نفسه.

٦

اكتشاف إنسان آخر

الأماكن كلها مشتاقة لك

احمد

♥ .. يقول الرجل للمرأة التي يحبها : أعبدك.

.. وتقول المرأة للرجل الذي تحبه : أعبدك.

.. أي أن كلاً منهما العابد والمعبود.

.. والعبادة إيمان وتسليم وخروج عن الذات والتخلّي التام عن الأنانية.. ولا تقوى على ذلك إلا النفس المحبة العاشقة.. وهي النفس الثرية الغنية الكريمة.. وهذه هي الطبيعة المتسامية للحب. البخيل عاجز عن الحب.. والأناني أكثر عجزاً.. وعند محراب الحب يخلع الإنسان المحب ما علِقَ بنفسه من بخل وأنانية ونرجسية.

والإنسان حين يحب من جوهر وعين فإن هذا الوعي يتخطّى الذات ليُدرك ويلتقي مع الذات الداخلية لإنسان آخر.. والتعبُّد هو التعبير الدقيق عن هذا.. وهذه هي القدسية بعينها.

.. التعبُّد يقودنا إلى التقديس وهذا لا يتحقق إلا بالخروج من الذات والانفتاح على الذات الآخرى.. إدراك هذه الذات كأعلى قيمة.. كأثمن جوهرة.. كمثل أعلى حتى وإن لم يكن كذلك،، فالمحب

يكون له من القدرة ما يتيح له أن يتبيَّن الامكانيات الهائلة التي يتمتع بها المحبوب والتي تتيح له أن يعلو ويسمو ويُحقِّق المَثَل الأعلى. وهذه هي الطبيعة الأصيلة للإنسان الحق وهي أن يخترق أسوار ذاته وهذا يعني أنه في حاجة إلى أن يُعطي وأن يُصبح رقيقاً عطوفاً.. ولذا فالحبيب يُعطي بسخاء، ويكون في أكثر حالاته رِقَّة وعطفاً وسماحة مع حبيبه.. وهذا هو الفرق بين البحر الميت أو البحيرة المنغلقة على مائها وبين النهر المتدفق السخي لأن له منفذاً يستطيع من خلاله أن يعطي.. إنه غني بذاته لأنه يستطيع أن يعطي من مياهه فتحمل الأرض زهراً وثمراً.. سخاء وخصوبة. ولذا فالنهر عابد معبود، تماماً مثل الحب. أما البحر الميت فإنه يُفزِعنا.. يُخيفنا.. لأنه تعوَّد على أن يحتفظ بما لديه من مياه.

♡ ♡ ♡

.. إن التعبُّدَ هو منتهى التعبير عن اختراق الذات لأسوارها وعبورها من خلال جوهرك إلى جوهر آخر.

.. أن تقول لمحبوبك أنا أحبك أو أنا أُبجِّلك أو أنا أعبدك معناها أن تجد طريقك إلى محبوبك بدون التفكير في ذاتك، ولكنك على أي حال ستظل ذاتك لكي تستطيع أن تستمر في التدفق والسخاء والعطاء. فلكي تعطي ينبغي أن تكون حراً مستقلاً ثرياً. وبإرادتك الواعية تُسلِّم كل ما عندك لحبيبك.

.. إذن الحب هو حاجة مُلِحَّة للنفس البشرية.. الحاجة للخروج من دائرة الذات المُغلَقة والاتجاه إلى ذات أخرى لكي نعطي.. لكي نقدِّم له كل شيء.. نحن لا نذهب إلى هذه الذات لكي نأخذ أو لكي نحقق منفعة ولكن نحن نتجه للحبيب لذاته.. لكينونته..

ولأنه هو الذي يُعطي لنا الفرصة لكي نُعطي. هو الذي يتيح للنهر المَنْفَذ والمَصَبّ، وبدون المَصَبّ يتوقف النهر.. تتوقف الحركة.. يتوقف العطاء.. يصبح النهر ميتاً.. وهكذا حياة الإنسان تكون راكدة متوقفة إلى أن يحب.. فإذا أحب دبّت الحياة في روحه وجسده.. يتحرك.. لينشَطَ.. يعلو.. يسمو.. يُبدع. إذن الحب حركة.. فعل.. عمل.. حياة. ووراء كل ذلك رغبة حقيقية في العطاء.

♡ ♡ ♡

.. إذا أحب الإنسان نفسه فقط فأنه لا يستطيع أن يخرج من حدود ذاته ليحب الآخر.

وإذا كان الإنسان أنانياً أي يكره العطاء فإنه ليس بمقدوره أن يحب آخر لأن هذا الحب يُفرَض عليه طَوَاعيةً واختياراً أن يعطي وألا ينتظر مقابلاً.

.. بمجرد أن يحب الإنسان يشعر أنه قد تحوَّل إلى كيان نوري يشعّ بكل ما هو جميل.. يُضفي الجمال والخير والبركة. يستعذب العطاء ليس لحبيبه فقط وإنما لكل الدنيا وبذلك ينجو بنفسه من عالمنا المادي الأناني.

إن الحب هو الطريق الوحيد الذى يأخذنا إلى جنة الأحلام بعيداً عن نار الواقع بماديته وأنانيته.

.. في جنة الحب تأتي (أنت) قبل (أنا).. في واقعنا حين يخلو من الحب تأتي (أنا) قبل (أنت).. وإذا سألنا أنفسنا كيف استطاع هذا المحب أن يخرج من حدود ذاته ويتجه إلى الطرف الآخر؟ ماذا

وجد في هذا الآخر حتى يجازف ويخرج من حدود ذاته وينطلق بشوق وحماس واقتناع ويقين ناحية هذا الآخر؟ لماذا لم يتريّث؟ لماذا لم يحسب ويُقدِّر؟ ألا يخشى أن يندم؟ ألا يترك الباب مفتوحاً لكي يتراجع إذا أراد؟ والحقيقة أنه لا إجابة عن كل هذه الأسئلة.. إنه شيء كالحَدْسِ الداخلي أو كالإلهام.

إذن فالحب ليس مجرد عاطفة أو رغبة.. إنه تحرك كلّي للنفس نحو الآخر.. إنه إذابة لكل الحدود والفواصل.. الانسان يتحرك بكل ما لديه وهل هناك أغلى وأثمن من ذاته ليعطيها بدون تحفُّظ لمحبوبه.. وبدون معرفة سابقة وبنفس الحَدْس والإلهام يُدرِك ما لدى المحبوب من إمكانيات هائلة كإنسان غير عادي. من اللحظة الأولى يُدرِك ماهيّته.. يُدرِك كم هو رائع وعظيم وجميل وأنه مؤهَّل للصعود إلى سماء الفضيلة والمثالية والكمال. ويشعر بأن القدر وضعه في طريقه وأن دوره أن يُعينه على هذا الصعود. يُعينه على أن يكون خالقَهُ. وفي الوقت نفسه يشعر هذا المحب بحاجته إلى هذا المحبوب لكي يخلقه، لكي يُعينَه هو ذاته على الترقّي والصعود إلى سماء الفضيلة والمثالية والكمال.. إنه النزوع المطلق القوي نحو المثل الأعلى..

.. تعالي يا حبيبتي لأخلقك.

.. تعال يا حبيبي لتخلقني.

.. وبذلك يصبح الإنسان في علاقة الحب هو الخالق والمخلوق.. وهو العابد والمعبود.. ولذلك نظرة المحب إلى محبوبه هي نظرة سامية.. فمعبوده لا مثيل له، وخالقه لا مثيل له.. بدونه هو ناقص غير مكتمل.. من غيره هو خائف قلق.. من قبله هو حزين مهموم.. بدونه هو أسير وحيد.. ولذلك حين يلتقي به يطمئن قلبه

ويُسَرّ خاطره ويشعر بالاكتمال.. هو الوحيد دون العالم كله الذي يمنحه هذه الأحاسيس السارة المطمئنة.

هو القوة وهو الحماية وهو السلام وهو الطمأنينة.. هو الرّكن الهادئ وهو الصدر الحنون.. يشعر بانجذاب شديد نحوه ولا مفرّ من الاندفاع إليه بإرادته وطوعاً وبرضا وسرور.. إنه شخص واحد فقط الذي يفعل بنا كل ذلك.. لا أحد غيره.. ولا يمكن استبداله.. ولا يمكن مقارنته بأي إنسان آخر. إنه فوق الجميع. هو الوحيد الذي يمنحنا السعادة والطمأنينة. إنه الجنة الحقيقية على الأرض.. وما الجنة إلا السرور والسلام.

♡ ♡ ♡

.. وهذا النّفاذ إلى ذات أخرى يحقق لذّة قصوى.. إنها لذّة معرفة إنسان إلى أقصى درجة.. فأي إنسان يبدو أمامنا لغزاً.. حتى أبينا وأمّنا.. حتى أبناؤنا وبناتنا.. حتى أصدقاؤنا.. ولكن هناك شخص واحد نقترب منه اقتراباً شديداً. ونظل نقترب ونقترب حتى نعرف دقائق نفسه.. فتحدث ألفة شديدة بيننا وبين دقائق هذه النفس فنحبه حباً شديداً.. وبذلك نفهمه من صوته.. من أبسط ملامح وجهه. وبذلك ينكشف حجاب الإنسانية أمامنا. ولأن هذا لا يتحقق إلا مع إنسان واحد فقط فإننا لا نستطيع أن نتخلى عنه أبداً.. لا نستطيع في يوم من الأيام أن نبتعد عنه نفسياً.

.. والغريب في الأمر أن هذا الفهم العميق وهذه المعرفة الأصيلة لهذا الشخص تتيح لنا أيضاً أن نقترب من عيوبه أكثر وأكثر.. ويا للعجب نجد أننا نحب هذه العيوب. فهذه العيوب النفسية أو الشكلية هي جزء من هذا الكل الذي أحببناه. على المستوى

الشكلي نجد شيئاً من هذا يحدث : فإذا كان حبيبنا أصلع أو مِعْوَجّ الأنف أو له أسنان بارزة أو قصير القامة أو لا يرى إلا بالكاد أو حتى لا يرى على الإطلاق.. إذ بنا نحب حباً شديداً هذه العيوب.. فهذا الشيء - المعيوب - هو جزء من الكل.. جزء من الإنسان الذي أحببناه.. ينتمي إليه.

.. وحتى العيوب النفسية أو الأخلاقية التي يفزع منها الناس لا تكون سبباً في ابتعادنا عن المحبوب ولا نأخذ منها موقفاً ناقداً مثل بقية الناس..فنحن الأقدر عن طريق الحب على رؤية الجانب الطيب الحقيقي في هذه الشخصية الإنسانية.. فنحن في الحقيقة لا نحب إلا إنساناً طيباً.. لا نستطيع أن نحب إنساناً شريراً.. شرير بمعنى أنه لا عواطف ولا قلب له، أناني، بخيل، يسعد بإيذاء الآخرين، حاسد، حقود.. هذه صفات تُبعدنا عن أي إنسان. ولكن قد يبدو إنسان أنه بخيل أو حاقد أو عدواني أو غير أمين.. هذه هي الظواهر التى يراها كل الناس. ولكن يأتي الإنسان الذي أحبه والذي استطاع أن يخترق حواجز ذاته وأن يَنْفَذَ إلى جوهره وإلى أعمق أعماقه فيرى إنساناً مختلفاً عن الذي يراه الناس.. يرى الجانب الطيب الأصيل ويرى النفس الأصيلة.. أما العيوب التي يراها الناس فإنه وحده - أي المحب - هو الذي يستطيع أن يتتبع جذورها ويعرف أسبابها ومصادرها. يستطيع أن يراها كعوارض مؤقتة. وأنه يستطيع أن يُخلِّصه من هذه العيوب ليس فقط ليبدو جميلاً ومقبولاً أمام الناس ولكن ليُخلِّصه من المعاناة ويُخلِّصه من الأسباب التي أدَّت إليها ولكي تنسجم كل أجزاء النفس مع بعضها.

♡ ♡ ♡

.. هذه هي روعة الحب. روعة أن نَنْفَذَ إلى أعماق إنسان ونفهم أدق خبايا نفسه وخبايا روحه وأن ينفذ هو إلى أعماقنا.. ولهذا فهي علاقة أبدية.. علاقة فريدة. علاقة لا تُتاح إلا مرة واحدة في حياة قِلَّة من البشر.. علاقة ندافع عنها حتى الموت.. علاقة نؤمن بها.. ونؤمن بالإنسان الذي أسهم معنا في خلق هذه العلاقة.. أي نؤمن بالحب وبالمحبوب وبأنفسنا.. نؤمن أن حبّنا يستحق المخاطرة والقوة والشجاعة والتحدي حتى وإن اتّحدت كل قوى العالم ضدنا فالمحب كالفدائي الذي يؤمن بوطنه ويحبه ويخاطر بحياته من أجله..

.. قد لا يرى الناس وجهة نظرنا. قد يختلفون معنا.. قد يدينون بشدة ذلك الإنسان الذي أحببناه. قد يؤمنون بقيم مختلفة. ولكن يأتي المحب فيرى ما لا يراه الناس.. ويرى أن محبوبه يستحق أن نُضحّي وأن نتألم وأن نناضل من أجله.. وأنه يستحق أن نهبه حياتنا طوعاً ورضًا.. ولذلك فالعاشق هو إنسان مؤمن شجاع مخاطر جريء مناضل يكره الضعف والاستسلام. لا يُضحّي بقلق الحب من أجل سلام زائف لا يَنْعَمُ به غير المؤمن.. قلق الحب عنده أروع وأعذب من سلام الموتى.. بل يتمسك بالصعاب التي تواجهه من أجل أن يتحدّاها وينتصر عليها ويظفر بحبيبه ويحافظ على حبه ويطير بعد ذلك إلى سماء السعادة الحقة.

.. يرتفع بحبه وحبيبه إلى أعلى سماء حيث يكونان معاً.. وحدة قائمة بذاتها وبذلك يصبح لا شيء قابل للمقارنة أو الحساب.. إن حبه مطلق وحبيبه مطلق.. وبذلك يعانق اللاّمحدود واللامتناهي والمطلق.

.. هذه هي قمة كسر حدود الذات والانطلاق إلى حيث جوهر المحبوب.. أرض جديدة.. سماء جديدة.. بل كون جديد.. كون المحبين.

♡ ♡ ♡

.. هذا الحب لا بداية له ولا نهاية.. بدأ من قبل أن يلتقيا.. هي خُلقِت له وهو جُعِل لها.. لم يكن من الممكن أن تحب شخصاً آخر غيره وهو لم يكن من الممكن أن يحب إنسانة أخرى غيرها.. ولهذا فإننا لا نسمع من المحب عبارات مثل : أحبك لأنك طيِّب أو لأنك جميلٍ أو لأنك ذكي.. لا عِلَّة.. لا سبب. لا تاريخ.. لا ميقات مُحدَّد..

.. ولم يكن ليستطيع أحد أن يجعلني أخرج عن ذاتي طَوْعاً واختياراً وأتخلّى تماماً عن حريتي بإرادتي إلا أنت.. ولولاك أنت بالذات لما تملَّكتني الشجاعة لأخرج عن حدود ذاتي لأخترق ذاتك وأدخل إلى صميم جوهرك.. ولذا لا فناء للحب.. إنه يستمر حتى بعد الموت.

٧

العطاء

كيف أجامل غيرك

كيف أجالس غيرك

كيف أضاجع غيرك

وأنت ساكنة في ذروة الحيرة

[illegible]

♥ .. لا نغالي إذا قلنا أن الحب هو أقدس رابطة بين اثنين من البشر.. ولا نغالي أ يضاً إذا قلنا أنه المنبع الحقّ للخير في الحياة.. ولا يمكن أن تنمو زهرة وأن تنضَجَ ثمرة وأن يشِبَّ إنسان إلا إذا كان هناك حب يرعى هذا النمو والازدهار.

لا تنمو الموجودات إلا بفعل الحب لأن النمو يحتاج الى رعاية، والرعاية الحقيقية التي تضمن النمو والاستمرار لا تأتي إلا من خلال حب.

.. أن أحبك معناها أنني قررت أن أتولّى مسؤولية رعايتك. أن أُكرِّس حياتي من أجلك وأنك لو احتجت حياتي لأعطيتها لك عن طِيبِ خاطر.

.. أن أحبك معناها أنني أهب نفسي.. روحي.. والهبة هنا معنوية وليست مادية. والرعاية لا تعني المسؤولية المادية ولكن المسؤولية النفسية. وذلك لأنك أهمّ إنسان في حياتي. إنك الأول. إنه لا يوجد من يحلّ محلك. لا يمكن استبدالك.

.. هذا هو المعيار الأُساسي في الحب الحقيقي والذي يتلخص في الالتزام والإحساس بالواجب وفي تكريس نفسك لحبيبك.

.. والإنسان هو الكائن الوحيد الذي يستطيع أن يكرس حياته من أجل إنسان آخر. الحيوان لا يستطيع أن يفعل ذلك. إن العطاء المطلق هو فعل إنساني بحت وهذا العطاء المطلق لا يمكن أن يكون إلا من خلال حب حقيقي. إنه عطاء المحب للمحبوب. ولا بد أن تكون مقدرة العطاء موجودة أصلاً عند هذا الإنسان. وتلك إحدى المؤهلات الأُساسية التي تؤهل الإنسان لكي يكون قادراً على الحب. أي أن تكون لديه القدرة على تكريس حياته من أجل إنسان آخر. أن تكون لديه القدرة على العطاء النفسي. أن يُعطي جزءاً من وقته واهتمامه وإحساسه وتفكيره لإنسان آخر. أن يهتم بقضاياه. أن يعيش مشاكله. أن يُدرِك بإحساس صادق معاناته. أن يكون قادراً عن طيب خاطر وبلا شروط وبلا مقابل أن يكون بجانب هذا الإنسان الآخر.

بهذا يكون ذلك الإنسان مؤهلاً لأن يعيش الحب الحقيقي. وهو حين يحب يدرك هذا تماماً. يدرك أنه قد اختار. بوعيه وإرادته أن يهب حياته لإنسانٍ آخر. أنه قرر واختار أن يُعطي بلا مقابل. أن يتفانى. أن يُضحّي. وتلك هي متعته الكبرى. تلك هي قمة سعادته. الإنسان في هذه الحالة يتمتع بمشاعره هو. تلك المشاعر الفيّاضة التي تهب وتمنح وتُعطي وتسخو. إن ما يهم في هذه الحالة هي مشاعره وأحاسيسه. مشاعره التي تفتّحت على الشخص الآخر. وأحاسيسه الصادقة بالرغبة في العطاء والتضحية والتفاني. إنه هنا لا يعنيه الطرف الآخر. أي لا يعنيه ردّ فعله. ولا ينتظر منه

شيئاً مقابلاً. لا يُسعده أن يقابله حبيبه بالعطاء المتبادَل. إنه لا ينتظر هذا إطلاقاً. إنه لا يريد شيئاً لنفسه ولا يسعى لمقابل. إنه يسعد فقط بعطائه.

تلك هي سعادته الحقُّه. وهو في هذه الحالة لا يحب من أجل أن يكون محبوباً. ولكنه يحب من أجل ذات محبوبه. من أجل جوهر هذا المحبوب. وهذه سِمة من سِمات الملائكة. فالبشر القادرون على الحب هم أقرب الى طباع الملائكة.

.. اذن في الحب الحقيقي لا يوجد أي شروط مُسبَقة. أنا أحبك وأرعاك لأنني قد اخترت أن أحبك وأرعاك ولا أريد أي شيء في المقابل ولا أتوقع أي شيء فقراري بتكريس نفسي من أجلك غير مُقيَّد وأنني لا أفعل ذلك لتحقيق أهداف في المقابل.. إني أحب وأتفانى لأنني قررت أن أحب وأتفانى.

. إن القرار بالتفاني هو تضحية بالنفس. والمتعة في الحب تتحقق بأن نحب ونسعد بأحاسيسنا ومشاعرنا أكثر من سعادتنا بها تجلبه لنا هذه المشاعر في المقابل. وسأظل أُعطي وأُعطي بلا نهاية وبلا حدود.

.. والمحبوب حين يفعل الشيء نفسه أي يُعطي كل ذاته وكل وجوده يكتشف المحب حينئذ أنه يأخذ كثيراً بالرغم من أنه لا يريد ذلك.. لقد قرر أن يعطي كل شيء فإذا به يأخذ كل شيء. يُعطي كل نفسه فإذا به يجد أن محبوبه.. يمنحه كل نفسه. يعطي كل وجوده فإذا به يجد محبوبه يتنازل عن كل وجوده من أجله.

والعطاء هنا هو عطاء الذات.. عطاء النفس.. عطاء الوجود.. وهو

أثمن من أي عطاء مادي.. وأي عطاء مادي مهما عَظُمَ لا يوازي ذرةً من العطاء النفسي الذي يمنحه المحب لمحبوبه. ولهذا فالإنسان لا يستطيع بمال الدنيا كله أن يحصل على ذرةً اهتمام من إنسان آخر. إن الثراء النفسي هو ما يهم في علاقة الحب.. المحب يدرك مدى الثراء النفسي الذي يتمتع به محبوبه وأبداً لا ينظر الى ما يملكه من مال وأشياء.. المال والأشياء لا تزيد من مكانة المحب عند محبوبه.

.. والعطاء هنا نابع من إرادة حرة. إنه تعبير عن الحرية. ولا يستطيع أن يعطي بسخاء وبتفانٍ إلا الإنسان الحر.. والحب هو التعبير الحقيقي عن قمة الحرية.. التي يتمتع بها الإنسان. ولهذا فالإنسانٍ حين يحب وحين يعطي يشعر بحريته الحقيقية. يشعر بالأنا في أوجٍ صدقها وقوتها وجمالها وإبداعها..

.. إذن في الحب تحقيق للذّات وتأكيد لحريتها من خلال الرعاية والعطاء والتضحية والالتزام بالطرف الآخر. ولهذا فالعطاء يُحقق المتعة الحقيقية في الحب. العطاء أكثر إمتاعاً من الأخذ. وهو عطاءٌ مبنيٌّ على الإدراك الواعي للقيمة النفسية الحقيقية للطرف الآخر. قيمة عليا سامية متفردة جديرة بأن تكون مسؤولاً عنها. جديرة بالاحترام. الاحترام لكيانها المتفرِّد. لماهيتها. لحريتها.

.. وهو لأنه سامٍ ورفيع وحر فإنه اختارني بمحض إرادته.. اختارني لأنني «أنا».. «أنا» كقيمةٍ سامية رفيعه منفردة. اختارني بملءِ إرادته وكل حريته. واختار أن يُعطي ذاته ووجوده. اختار أن يُضحي من أجلي وأن يتفانى في سبيل سعادتي ووجودي.

إذن هي رعاية متبادلة. إحترام متبادل. مسؤولية متبادلة. ولا يقوى على ذلك إلا الأحرار. أثرياء النفس. الأخيار الملائكة. إنهم القِلّة النادرة من البشر.

.. ولذلك لا يحظى بالحب إلا من يستحق الحب ومن هو مؤهّل للحب. إنها النفس الطيّبة الخيّرة الثرية المِعطاءة الخالية من الكبرياء والغرور والأنانيه والنّرجسية. وكل محب يستطيع بسهولة أن يتعرف على محبوبه. أن ينفَذَ الى جوهره وأن يرى طاقات النور المنبعثة من صميمه. إنها القدرة على النّفاذ التي يتمتع بها المحبون. القدرة على الاكتشاف. القدرة على المعرفة. إنه الإلهام والحَدْس والمقدرة الخاصة. إنها الشفافية والبراءة والطهارة. إن هذا هو أنت وهذا هو أنا. لذا التقينا وتحابينا منذ اللحظة الأُولى بل ومن قبل ذلك وسيظل هذا طوال عمري وعمرك وهذا هو أعظم دليل على مصداقية حُبنا. إنه الوفاء.. أي السنين.. أي المستقبل.. أي العمر بأكمله.. ما هو آتٍ..

.. هذا التفاني نراه في الحنان والمودّة والرّحمة والكرم وتلك مفردات المشاعر التي يشعرها المحب نحو محبوبه. وتلك هي الاحتياجات النفسية التي يتوقعها المحبوب من حبيبه والتي تحقق له إشباعاً وإرضاءً. وتلك هي الواحة الجميلة الوارفة التي يستظلُّ بها المحبون. تلك هي المشاعر الدقيقة التي لا ينعم بها إلا المحبون والمقصورة على علاقة الحب. ولهذا فالمحب يَفيضُ حناناً ورحمةً ومودةً وسخاءً نحو محبوبه. من عينيه ومن لمساته ومن أنفاسه ومن ملامحه يشيع ذلك الحنان وتلك الرّحمة وهذه المودّة. قِمّة الحنان والرّحمة والمودّة والكرم. قِممٌ لا تعلوها قِممٌ أخرى.

.. ولأن هذه المشاعر متبادلة فإن ثَمَّة وحدة التجمّع بين المحب ومحبوبه. تشملهما معاً. تمزجهما.. وهذا أمر لا يُدركه إلا المحبون. فهما في قِمّة ذوبان كل منهما في الآخر يشعران بتفرّدهما. بل أن

كل منهما لا يشعر بأنه ذات مُتفرِّدة أصيلة قوية مُتميِّزة إلا في إطار هذا الامتزاج والتماذج.. إنه الامتزاج الذي يعطي لكل طرف الإحساس الكامل باستقلاليته. وربما يرجع ذلك إلى أن الرجل لا يشعر برجولته الحقَّة إلا من خلال المرأة التي تحبه ويحبها، والمرأة لا تشعر بأنوثتها الحقَّة إلا من خلال الرجل الذي يحبها وتحبه.. إنه أحبها بكل رجولته ومن خلال رجولته.. وهي أحبته بكل أنوثتها. ومن خلال أنوثتها أحبت رجولته وأحب أنوثتها. امتزجا كروحين مما أتاح لأنوثتها ولرجولته أن تظهرا بوضوح على خلفية هذا الامتزاج الروحي العميق.

.. هكذا يشعر كل منهما نحو نفسه. وهكذا يشعر كل منهما نحو الآخر. فهو يراها أبدع أنثى خلقها الله.. وهي تراه أبدع رجل خلقه الله.. هي أعظم نموذج للأنثى. وهو أعظم نموذج للرجل.. وهي أقرب أنثى الى قلبه وعقله وإحساسه وهو أقرب رجل الى قلبها وعقلها وإحساسها. ولهذا يتحقق منهما أقصى درجة من الانجذاب بين الذكر والأنثى حتى يستحيلان كياناً واحداً يشعران فيه بقمة التمايز الأنثويّ والذكريّ. ينشدان كل الوقت الالتصاق الكامل حتى الذوبان حتى وإن باعدت بينهما بلاد وبلاد ومسافات ومسافات.. ولهذا فالحنين دائم والشوق مستمر. الحنين للاقتراب والشوق للذوبان. كل منهما يعيش أخيلةً وأحلامَ الذوبانِ وتلك هي السعادة والنشوى.

.. ولذلك فالابتعاد يُسبِّب ألماً قاسياً.. ولذا يموت الحبيب ولا يبتعد عن حبيبه أو هو لا يتخيَّل الحياة بعيداً عنه.. لا يتحمل أن يتوقف عن عطائه النفسيّ لحبيبه ولا يدري حينئذٍ ماذا يفعل بحنانه الذي يملأ قلبه ووجدانه..

.. وأكثر ما يخشاه هو الموت. فهو الوحيد القادر على أن يبعده الى الأبد وبدون رجعة. فالمحب يتعلق بوجود محبوبه ولا يتصور أن تكون له حياة من بعده.. حياته معلقة بحياته.. بل الكون كله معلق بوجود المحبوب إذ يصبح المحبوب هو مركز الكون. ولذا فهو يحبه بلا شروط وبلا مقابل يكفي وجوده. مجرّد وجوده. يحتاج وجوده. يحتاجه لأنه يحبه وليس يحبه لأنه يحتاجه. هذا هو الحب غير المشروط وهو أقرب الى حب الأم لطفلها.

.. وحين يُدرك المحبوب تلك المشاعر العميقة السامية التي يكِنّها لها حبيبه فإنه يشعر أنه على قِمّةِ العالم. ملِكِ الملوك. الأوحد. إذ ليس أروع من أن يشعر الإنسان أنه محبوب لذاته. محبوب لوجوده محبوب لكونه هو وليس لما يتمتع به من مزايا. ليس لأنه ثري أو جميل. محبوب دون أن يبذل مجهوداً. دون أن يسعى هو لذلك. حباً حقيقياً وليس إعجاباً.

.. إذا شعرت أنك تحب إنساناً لما يتمتع به من مزايا فأنت لا تحبه بل تحب مزاياه وتُعجب به فإذا زالت عنه هذه المزايا فإنك تفقد مشاعرك نحوه.. أما في الحب الحقيقي فأنت ترى حبيبك كحقيقة كليّة شاملة. هناك شمولية في الحب الحقيقي. من خلال هذه الحقيقة الكليّة الشاملة ترى في حبيبك ما لا يراه كل الناس تراه كمخلوق أصيل فريد لا مثيل له. لا يضاهيه أحد ولا يشبهه أحد. بل هو عالٍ عال.

.. الحب الحقيقي معناه أن تكون لك هذه القدرة العجيبة على النّفاذ الى داخل هذا الإنسان لترى سحره وكماله وجماله ونقاءه وبراءته وطهارته وأن تتعرف على إمكانياته الحقيقية التي سوف تُتيح له من خلالك أن يسمو ويسمو ويصبح مثلاً أعلى.

فأنت الوحيد الذي ترى أنه مؤهّل لهذه المكانة العالية السامية الرفيعة. ولهذا فأنت تراه أعظم خلق الله. ولهذا لا يعجبك أحد غيره. لا يهز إنسان آخر شعرة في جسدك ولا يُحرّك لك وجداناً ولا يُثير لك فكراً. يصبح كل الناس عديمي التأثير. وهو وحده فقط الذي استثار لديك كل المشاعر وكل الأفكار وكل المسام وكل الأحاسيس وكل الحواس. وهو الوحيد الذي يُحرّك جسدك إذ يكتسب جلدك حصانة ضد أي لمس من إنسان آخر. ولا يتحرك أي نبض إلاّ من خلاله. تموت النبضات إذا حاول آخر أن يثيرها أو إذا حاول الشيطان أن يدفعك بعيداً عنه في لحظة ضعف. سرعان ما تفيق وتفزع وتهرع وتبتعد وتكتئب وتعاقب نفسك حتى الموت.

.. قد تتعرض سفينة الحب الحقيقي لموجات عاتية ورياح قاسية. صراعات وأعاصير وهزّات. ولكنك أبداً لا تقذف بنفسك بعيداً لتنجو. لا تلجأ الى سفينة أخرى لا تبحث عن شاطئ. إنك كالقبطان النبيل الشجاع الذي يهيم حباً وعشقاً بسفينته حتى وإن ضَعُفَتْ وَوَهَنَتْ أمام الضربات حتى وإن كانت على وشك الغرق. إنه يموت معها. يغرق معها. إنه حب حقيقي.

.. ولهذا لا توجد شكوك مع الحب الحقيقي. توجد الغيرة فقط.. الشك معناه أنك لا تحب حباً حقيقياً. الشك والحب الحقيقي لا يجتمعان. فقط تغير الى حد القلق الشديد. إنها الغيرة على الحب لأن الحب هو أثمن ما لديك في الوجود. وإذا أحاطت بك ظروف ضارية تدفعك دفعاً الى الشك حتى الجنون فإنه يظل داخلك جزء يرفض.. مستحيل.. جزء يؤكد طهارة وبراءة من تحب.. جزء من داخلك يُدافع ويُناضل حتى الموت.. وفي النهاية ينتصر هذا الجزء

وتعلو راية النقاء فوق هامة الحب الحقيقي الذي يظلّلكما.. ولهذا لا ينهزم الحب الحقيقي أبداً أمام الشيطان وذلك لسبب بسيط جداً وهو أنك تعرف حقيقة أمره.. أنت الوحيد الذي تعرف خبايا نفسه. أنت الوحيد الذي تعرف ما وراء سلوكه الظاهر. أنت العين التي استطاعت أن تصل الى أعمق عمق.. فأنت الوحيد القادر على معرفة درجة نقائه وطهارته.

ولهذا من المستحيل أن توجد خيانة مع الحب الحقيقي وإن أكَّدت كل الظواهر والشواهد على عكس ذلك. ولهذا فهناك وفاء.. خلود.. لانهائية.. استمرارية حتى الموت رغم التوتّرِ والعذابِ والقلقِ والحَيْرةِ..

رغم الغيْرةِ. ولكن لحظة سعادة في ظل الالتصاق بروح الحبيب تعادل كل الشقاء. إنه الإشباع الروحي الذي لا يعادله إشباع ولا يستطيع أي شيء آخر أن يقدمه.

♡ ♡ ♡

.. إن الحب الحقيقي يمثل قِمَّةَ السعادة. أقصى متعة روحيَّة. وأيضاً تتحقق من خلاله أقصى متعة جنسيَّة. إنه القمَّة.. قمَّة القِمم. أي شيء آخر في الوجود يبدو تافهاً باهتاً محدوداً ضئيلاً..

.. والمحبون يدركون ذلك بغريزتهم وفِطْرتهم وحَدْسهم المباشَر وحَدْسهم الداخلي. ولهذا فالحبيب يرعى حبيبه ويحافظ عليه ويعطيه ويتفانى ويضحّي من أجله ويتحمل كل مسؤولياته..

.. إن الخير الحقيقي على هذه الأرض مصدره الوحيد هو الحب.

٨

الحب اختيار

شكرا لحبك
سيد معجزتي الأخيرة
عندما يولد رجال المعجزات
وهو الذي شطب للنار
جميع سهامه باللحظة
ولعشاق أجمل ذكرياتي

♥ .. في فعل العطاء يتجلّى أحد سمات الحب الحقيقي بل أهم سِماته وهو التأكيد على حرية الإنسان واستقلالية الطرف الآخر. أنا وأنت في علاقة الحب الحقيقي ذاتان مُتفرِّدتان مُستقلتان حُرتان. فأنا أُعطي بمطلق حريتي. أُعطي لأنني حر.. أعطي بإرادتي.. أُعطي لأنني اخترت أن أعطي.. أن أعطي لشخص معين بالذات.. شخص أنا اخترته من ضمن الملايين.. وحين قررتُ أن أعطيه ولا أنتظر مقابلاً فهذا معناه اعترافي بكامل حريته. باستقلاليته. بإرادته.. عدم انتظاري رداً لعطائي هو قمة اعترافي باستقلالية هذا الإنسان الذي أحببته.. أنا أراه كذاتٍ مستقلة.. كوعي حر. كإرادة مطلقة. ككيانٍ. كوجودٍ. كقوةٍ. لذلك فأنا لا أفكر في أن أمتلكه ولا أريد أن أستحوذ عليه أو أسيطر أو أهيمن على حياته. بل يسعدني أن يكون هكذا حراً. ولذا فأنا لا أستخدم قوتي ولا نفوذي أو ما لديَّ من قدرات للسيطرة. هناك آخرون في حياتي أستطيع أن أسيطر عليهم أو ينبغي في بعض الأحيان أن أسيطر عليهم إلا هذا الإنسان الذي أحببته. فلا سيطرة في الحب. لا قهر ولا استغلال ولا استعباد. بل حرية. إرادة.. استقلال. إيمان..

.. وجمال الآخر وكماله وتألقه لا يكون إلا وهو يتمتع بكامل حريته. ولهذا فإن هذا المحبوب حين يُقبِل نحوي.. حين يختارني.. حين يعشقني وهو في كامل حريته ووعيه وبكامل إرادته فهذا معناه أنني أنا الأوحد الأسمى والأعلى والأكمل وليس الأجمل فهو لم يخترني لجمالي أو لقوتي. وهو حين اختارني لم يقارن بيني وبين غيري. لم يخترني لأنني الأفضل. لا مقارنة ولا نسبية ولا انتقاء. وإنما حقيقة كلّية شاملة جامعة.

.. إن أعظم ما يحصل عليه المحبوب من محبه هو حريته. ولذلك فهو ليس في حاجة إلى السيطرة عليه.. إن الرغبة في السيطرة هي خوف.. ومعناها أنه لا يثق بحبه لمحبوبه. ولا يثق بحب محبوبه له.. السيطرة هي الخوف من أن يفلت حبيبه من بين يديه وهذا اعتراف بعدم أهليته هو شخصياً للحب. في الحب الحقيقي لا يحتاج الإنسان لهذه السيطرة لأن الحبيب يُقبل على حبيبه بمحض إرادته. يأتي له ويسلمه حريته.. ويقول له أنا معك لأنني أحبك..وحين أكون معك فأنا موجود.. إن وجودي مرتبط بوجودك. وأنت لست في حاجة إلى السيطرة عليّ لأني لا أستطيع أن أمضي بعيداً عنك. فأنا جئتك حين لم تأمرني.. ولا أستطيع أن أمضي بعيداً عنك. ليس بفعل مجالك المغناطيسي ولكن بفعل قوة أخرى هي قوة الحرية إذ أستطيع أن أتحرك في مجالك بكامل حريتي. أستطيع أن أروح وأجيء وإذا بي أجد نفسي أجيء.. أقترب وأقترب.. لا تحملني قدماي ولكن تحملني روحي.. تدفع بي ذاتي.. ينقلني وعيّ اليك وعيُ الحر. إذن وأنا مقيد بك أتمتع بكامل حريتي. أشعر أن حريتي هي التي تجرني وتشدُّني إليك. ليس حباً أن أشعر أن لك مجالاً مغناطيسياً يشدني كقطعة حديد

صماء مسلوبة الإرادة. وإنما الحب هو أن أشعر أن ليس لك نفوذ أو سيطرة أو مجال جَذْبٍ ورغم ذلك أجدني مشدوداً مدفوعاً. أعظم شيء أن تكون قوة الجذْبِ والدفع نابعةً من داخلي.. صميم اختياري.. إختياري الحرّ المطلق..

.. إذن لماذا الغَيْرة ؟! ما الذي يخشاه الإنسان في علاقة الحب الحقيقية.. ؟ ممَّ يخاف.. ؟

.. إنه يخاف أن يفقد هذا الحب. أن يفقد هذه الروح التي أقبلت عليه بمحض إرادتها، وحريتها. في الحب أنت لا تشعر أنك امتلكت شخصاً أو كياناً أو جسداً وإنما تم اختيارك من قِبَل حرية. من قِبَل روح سامية وأن هذه الحرية وهذه الروح أعطتك أسمى ما في الوجود.. أعطتك نفسها.. أي أسلمت حريتها وذاتها.. أنها أحبَّتك.. أحبَّتك كحقيقة شاملة متكاملة سامية وأن ذلك جعلك تشعر بأن لوجودك في الحياة مبرِّراً.. ولهذا ففي فقدك لهذا الحب انتفاء لمعنى وجودك. ضَياع. نهاية. نهاية لكل معنى في الحياة.

♡ ♡ ♡

.. إذن كل طرف في علاقة الحب الحقيقي يتمتع بحريته وتفرُّده واستقلاليته وارادته. من خلال ذلك يقتربان. وتتملكهما رغبة في الامتزاج والتوحُّد وليس رغبة في التملك والسيطرة. ليس رغبة في إذابة الطرف الآخر في داخله ليمحوه. إن الطرف الآخر إذا ذاب وانمحى لم يصبح له وجود.. الحب يعتمد على الثنائية والتبادل وليس البلع والاستيعاب والإلغاء والذَّوبان. في قِمَّة الالتصاق والتوحُّد والامتزاج يشعر كل منهما بِقمَّة الحرية وإرادته وتفرُّده واستقلاليته. في قمة الالتصاق وقد امتزجت الأنفاس وأغلقت

الأجفان فإن كلاً منهما يرى الآخر رؤية واضحة ويدركه ككيان متكامل متماسك وبذلك يستطيع أن يحبه وأن يسبغ عليه وأن يعطيه ويحترمه ويرعاه ويكون مسؤولاً عنه.

.. ولذلك فالالتصاق تأكيد للحرية وتعميق للإرادة وتثبيت للاستقلالية وتوكيد للتفرد والتميز.

إذن أنا أحب معناها أنا حر.. وأنا حر معناها أنا قادر على الحب ومؤهل له.

..ولذلك لا عنف ولا انتقام في الحب الحقيقي حتى وإن قسى أحد الطرفين أو ابتعد أو تسبب في ضرر غير مقصود. الحب الحقيقي لا يعرف إلا الرحمة والحنان. والمحب يفهم سلوك محبوبه ويقدر ظروفه ويرجع أي إساءة منه إلى دوافعها النفسية العميقة التي لا تنطوي أبداً على سوء ظن أو قسوة حقيقية أو حِقدٍ أو شكٍ في إخلاص.. ولا يفهم المحبوب إلا حبيبه. ولذلك لا يوجد ما يسمى بالمغفرة في الحب فالمغفرة لا تكون إلا لمن أساء إساءة حقيقية. ولا إساءة حقيقية في الحب الحقيقي.

.. المحب يفهم محبوبه مثلما يفهم نفسه. ولأنه يُدرِك بوضوح دوافع الخير في نفسه فإنه يُدرِك وبالوضوح نفسه دوافع الخير في نفس محبوبه.. الأخيار يختارون الأخيار وليس الأشرار. إنها النفوس الطيبة القادرة على الحب.

النفس الطيبة تختار نفساً طيبة مثلها.. ولهذا لا شك ولا سوء نية ولا سوء قصد ولا سوء متعمد.. وإنما تلقائية وبراءة.. ولهذا فهناك فَهم وتقدير واحترام وحنان ومن ثم مودة ورحمة.

.. ولذلك، فبالرغم من أن المحب يشعر أن محبوبه مختلف عنه إلا

أنه يشعر أنه يُشبهه. أو أن يمثّل جوانب في نفسه حبيسة. أو أن يُجسِّد معانٍ يحبها في الإنسان والإنسانية.

فالإنسان بفطرته يفزع من الشر ويكرهه. يفزع من الخيانة والنّصب والاحتيال والكذب والنِّفاق والرياء والبَغْضاء والكراهية والحسد والحِقْد والغرور والأنانية والنّرجسية.

والإنسان أيضاً بفطرته السَّمحة يحب الطيبة والتواضع والإقدام والالتزام والكرم والمودّة والتسامح والرِّقة والعذوبة والشاعرية والرومانسية. يحب الجَدِّية والإخلاص وقوة الإيمان والشجاعة والشرف.

ولهذا يلتقي المحبون حول هذه السِّمات. ويلتقي المبغضون على الصِّفات المغايرة. فالأخيار يلتقون مع الأخيار ويحبون حباً حقيقياً. أما الأشرار فيلتقون مع الأشرار ويحبون حباً زائفاً قائماً على التملك والشهوة والشك والسيطرة والعنف والانتقام إذا اقتضى الأمر.

♡ ♡ ♡

.. ونحن حين نقول أن الإنسان يحب إنساناً مختلفاً عنه مغايراً له فإن الاختلاف والتغاير يعنيان.. تفرُّد الشخص تفرُّده بذكائه وطموحه واهتماماته وفلسفته في الحياة وأسلوبه. ولكن يبقى أن الصفات الأساسية للإنسان ثابتة.. القيم الإنسانية العليا السامية.. هذه القيم غير قابلة للتغيُّر ولا يمكن أن يلتقي اثنان في علاقة حب حقيقي وبينهما اختلاف وتغاير حول هذه القيم الإنسانية السامية الثابتة. الاختلاف بمعنى أن لكل منهما شخصية متميِّزة. شخصية ديناميكية تسعى وتتحرك بحرية وإرادة ووعي في الحياة وتسعى

لتطوير نفسها والتأثير على عالمها والتأثر به. شخصية ناضجة متفتحة خيِّرة سامية وبذلك تكون مؤهَّلة للحب. الحب هبةٌ إلهية. سرّ قدسيّ. نورٌ إلهي.

.. وإذا كان هناك تطابق في الشخصية فإن الحب يصبح صعباً. لأن الحب حركة ونمو وتطوير وإبداع. ولهذا فلا بد أن يكون لكل منهما شخصيته المختلفة المتميِّزة. ولهذا فالتقاء المتغيِّران يُحدِث التفاعل الحي. التفاعل المُبدع الذي يُضيف للحياة لوناً وطعماً وبهجة وثراء.

الحب الحقيقي ليس سكوناً وليس انغلاقاً. الحب الحقيقي كالنهر الحي المتدفق الثري. أو كالبحر العميق الثري بالحياة وباللآلىء بداخله حياة وكنوز وأسرار.

الحب الحقيقي ينطوي بداخله على قدس الأقداس وسر الأسرار وكنز الكنوز ويفيض خارجه بالحياة والنّماء.

.. إذن التماثل بين الحبيبين ليس في الشخصية وإنما فيما تنطوي عليه نفس كل منهما من حب للخير والتمسُّك بالقيم الإنسانية السامية.

والتغايرُ بين الحبيبين إنما هو في الشخصية. أي التنوع البشري الذي يُتيح التفاعُل التلقائيّ السخي.

.. ولذلك فالحب هو أهم حَدَثٍ في حياة الإنسان، ولا نتجاوز في القول أن أهم ثلاثة أحداث أو تواريخ في حياة الإنسان هي يوم مولده، ويوم موته، واليوم الذي يلتقي فيه بنصفه الآخر بحبيبه.. يوم تكتب له شهادة ميلاده المعنوي. يوم أن يجد مبرراً لوجوده.. يوم أن يجد معنىً لهذه الحياة التي نحياها. قبل أن يحب كانت الحياة فاترة مائعة باهتة وبعد أن أحب أصبحت تفيض سحراً يخلب

العقل. أصبحت باعثة على النشوى. أصبحت تهزُّ الوجدان. أصبحت الحياة، حياة.

.. إذن الوعيان في الحب مستقلان. إنهما ليسا بأي حال واحداً ولا يعتبر أي واحد منهما استمرارية للآخر. إن الطرف الآخر سيصبح دوماً شخصاً مستقلاً وليس امتداداً لك، وهو أيضاً مختلف عنك، ووجوده يؤكد نفسه ككائن مختلف عنك تماماً. إن الإنسان الناضج الذي يتمتع بالصدق مع الذات يتعايش ويرحب باستقلالية الوعي الآخر. يستطيع أن يتقبَّل هذا. بل أكثر من ذلك أن استقلالية الطرف الآخر تُعطيه قوة.

.. إن الشخص الضعيف الذي لا يتمتَّع بنضج كافٍ هو ذلك الشخص غير المستعد للحب لأنه سينهار تحت ضغط استقلالية الطرف الآخر.

.. إنك تستمد وجودك من استقلالية الوعي الآخر لأن هذا الوعي انعكاس لجوهر ذاتك. ولذلك فأنت حقيقة قائمة منعكسة على وعي آخر حقيقي ومستقل. ولذلك فأنت لا تشعر بالوحدة. إنها عملية خَلْق آخر حقيقي ومستقل. ولذلك فأنت لا تشعر بالوحدة. إنها عملية خَلْق متبادَل. ولا يقوى على الخلق إلا الناضج المستقل الحر.

الحب الحقيقي هو خلق لذاتك ولذات الآخر.

♡ ♡ ♡

.. ولذلك يقول المحب لمحبوبه : أنا لا أتواجد بدونك وأنت لا تتواجد بدوني.

٩

الغزو والخضوع

ارجع كما أنت
صحوا كنت أم مطرا
فما حياتي أنا
إن لم تكن فيها

♥ .. من أبرز سِمات الحب الحقيقي الصدق. إنها أصدق علاقة. وطرفاها الرجل والمرأة من أصدق الناس. يصدق الإنسان مع نفسه ويصدق مع حبيبه. في هذه العلاقة السامية يكون الإنسان نفسه.. ذاته.. يكون هو على حقيقته.. بلا قناع.

.. وهو يشعر أنه محبوب لما هو عليه. بدون رتوش بدون ذواق. هو وحده يكفي فهو الجمال الحقيقي وهو القِمّة وتلك أحد جوانب السعادة الحقيقية في الحب.

ولهذا فالإنسان يُسلّم نفسه. يُسلّم حريته. يخضع بإرادته بلا تحفّظ. يعطي نفسه بالكامل. يخضع بلا شعور بالهزيمة. بلا إجبار. وتلك هي الحرية الحقيقية في أعظم صورها وهي أن يخضع الإنسان بإرادته طوعاً ليس خضوع المهزوم. ولكنه خضوع القويّ الشجاع المؤمن.. المؤمن بالحب.. المؤمن بنفسه. المؤمن بالطرف الآخر.

.. وطالما أن هناك طرفاً يخضع فمعنى هذا أن الطرف الآخر يتمّ

الخضوع له. أي يكون الطرف الغازي. طرف يغزو وطرف يخضع. طرف يُسلِّم حريته وطرف يحتوي هذه الحرية ويكون مسؤولاً عنها. وهي مسؤولية ضخمة مسؤولية رهيبة. مسؤولية تحتاج إلى نضج وتوازن نفسي وقوة وإيمان وشجاعة. فهذا هو إنسان قد جاء تطوعاً وخضع له وسلَّم له حريته. فأصبح حينئذ مسؤولاً عن هذه الحرية. مسؤولاً عن تسليم إنسان له. إحتواء هذه الحرية يحتاج إلى شجاعة واقتدار. فهو ليس غازياً منتصراً والآخر خاضعاً مهزوماً. بل الآخر الخاضع شجاع وقوي ومؤمن لأنه محب وعاشق. وأن الأمر يتطلَّب من الطرف الغازي أن يكون أكثر قوة وأكثر شجاعة وأعمق إيماناً حتى لا يرى الأمر من منظور الانتصار والهزيمة. فالطرف الآخر لم يخضع له بسبب قدرته الغازية أو بسبب ميزاته الشخصية. إنه قد خضع له واستسلم له وأعطى له كل شيء لأنه أحبه. أحبَّه كله. أحبَّه كما هو. أحبَّه بعيوبه ونقائصه ونقاط ضعفه. ولكنه رأى نوره الداخلي. رأى تساميه وشجاعته وقوة إيمانه. أدرك مثاليته الكامنة في أعماق نفسه والمتاحة في الزمان المستقبل. أحبَّه رغم اختلاف الناس عليه. وحين أحبَّه سلَّم له حريته لأنه وثق به. ولا يمكن أن يثق به إلا إذا أحس أنه إنسان صادق. إنها لحظة حاسمة أو منعطف هام في بداية علاقة الحب. لحظة الصدق أو منعطف الصدق. أحبك فأثق بك لأنك لو لم تكن صادقاً لما أحببتك. ولأني أحببتك فأنت صادق ولهذا أثق بك. ولذا فأنت أهل لأن أخضع لك ولأن أسلِّم لك حريتي لتكون مسؤولاً.

♡ ♡ ♡

.. وهي متعة كبرى. متعة التسليم. إنها من أروع أحاسيس الحب. إنه الإخلاص كله والانتماء كله. ذلك هو جوهر الإخلاص أو ذلك هو فعل الإخلاص. ذلك الفعل غير المتعمد. ولا يمكن أن يكون هناك غير الإخلاص. وكيف لا يُخلص الإنسان وقد اختار تطوعاً وبإرادته أن يُسلِّم حريته لإنسان آخر وأن يخضع له. إنه هو وحده الذي يستحق. ليس من قبله وليس من بعده. ولا شبيه له ولا مثيل له. إنه هو الأعلى والأسمى والأكمل والأصدق والأجمل. إنه الوحيد الذي أثق به في هذا العالم كله. إنه الصدق ذاته. وجوهر علاقتنا الصدق. ولذا فأنا بدون تحفظ استسلم له، وأخضع له. وهو قادر على احتواء هذا الخضوع الكامل.. وهذه هي روعته.. روعته في أنه استطاع أن يحتوي حريتي وأن يُشعرني في الوقت ذاته بقمة استقلاليتي. بقمة حريتي. بقمة شعوري بذاتي ووجودي. بحيث أستطيع أن أقول أن خضوعي له جعلني أتيقَّن من حريتي الكاملة ومن إرادتي التامة. أتيقَّن من أن وجودي له معنى ومبرر. وأن لي ذاتاً حقيقية. إنني إنسان حقيقي وهذا ميلاد جديد لي وبداية حقيقية لعمري.

♡ ♡ ♡

.. والغزو والخضوع لا يمكن أن يحدثا على أي مستوى آخر من العلاقات الإنسانية. يحدث هذا فقط في الحب الحقيقي. أي لا بدّ أن يكون حقيقياً لأنه في الحب الزائف يسعى الإنسان للامتلاك والسيطرة والقهر.

في الحب الزائف هناك صراع وأنانية.

أما الحب الحقيقي فهو تسليم وأمان وسلام وثقة لأن هناك صدقاً.

.. وظاهرة الغزو والخضوع قد تبدو غير ديمقراطية ولا يمكن أن تُحقق معاني الاستقلالية والتفرُّد والتميُّز والوعي الكامل والإرادة المطلقة. كيف يكون الإنسان حراً وفي الوقت نفسه خاضعاً ؟!

ذلك هو الأمر الغريب المحيِّر في الحب. ذلك هو سر الحب. وتلك هي القدسية. وهذا هو مصدر السعادة القصوى والمتعة الروحية التي هي بلا حدود. وذلك هو الشعور بالأمانة والطمأنينة.

فالانسان لا يُسلِّم نفسه إلا لمن يثق به. ولا يثق إلا بمن يكون صادقاً. وهو حين يُسلِّم نفسه يعلم تماماً أنه يُقدِّم نفسه هدية لمن يستحق. وهي هدية غالية جداً. وهو يعلم إنه حين يقدم هذه الهدية فإن الطرف الآخر سوف يُقدرِّها. حقَّ قَدْرِها بل سوف يُفصِح أنه لا يستحق هذه الهدية العظيمة، وأنه ليس أهلاً لها. هنا فقط يشعر من قدَّم الهدية أنه قدمها فعلاً لمن يستحق هذا الذي يستحقها سوف يشعر بالوجَل والخوف من تلك المسؤولية العظيمة. ولكن لأنه هو الآخر عاشق ومحب فإنه سوف يتقدم بشجاعة. سوف يحمل هذه الشمس العظيمة في يمينه. سيعلن أنه سيكون مسؤولاً. سيقول لمن خضع له : إنك ما دمت قد سلمت لي نفسك وحريتك فسوف أكون مسؤولاً عنك. سوف أرعاك وأحميك. إنني أحترمك وأؤمن بك. سوف أعطيك أنا الآخر ذاتي وكل حياتي. سوف أهبك نفسي. فإذا الذي يعطي سيأخذ أكثر مما أعطي. وإذا الذي يُسلِّم يمتلك. وإذا الذي خضع يشعر أنه عظيم في خضوعه رفيع في استسلامه. كيف إذن يرتفع من يخضع ؟ كيف إذن يمتلك

من يستسلم؟ كيف إذن يتحرر من يهب حريته ؟ كيف إذن ينفرد ويستقل من يحاول جهده أن يذوب وأن يتوحَّد ؟ هذا هو الحب.. هذا هو سر الأسرار. هذا هو المعنى العميق الغريب. هذا هو التسامي والقدسيَّة.

.. ومن الذي يخضع ومن الذي يغزو ؟ المرأة أم الرجل ؟ وهذا أيضاً من أسرار الحب. أنت قد لا تعرف من الذي يخضع ومن الذي يغزو. وبهذه الصورة العجيبة يكون الإنسان غازياً وخاضعاً في الوقت نفسه. لا فرق هنا بين الرجل والمرأة. ليس هناك إلزام أن يلعب الرجل دور الغازي وأن تلعب المرأة دور الخاضعة.

لو أننا فهمنا معنى الغزو والخضوع في الحب لعرفنا أن هذه ليست أدواراً مرتبطة بنوعية الجنس. إنها أدوار تلقائية مرتبطة بانطلاق الشرارة الأولى ومرتبطة ببعض خصائص الشخصية. إلا أن المرأة مع بداية العلاقة تأخذ دوراً معيناً يمكن أن نطلق عليه دور الأنثى أو سلوك الأنثى وهو نابع من تكوينها وصياغتها كأنثى. أي هكذا تكون الأنثى. أو هذا دورها في عملية الحب. وبالتالي يكون هناك دور للرجل. ولا يوجد هناك تحديد قاطع وحاسم يفصل بين دور الرجل ودور المرأة ولكن هكذا يكون المسار الطبيعي والتقليدي لكل منهما والذي ينسجم مع التكوين الداخلي لكل منهما.

وهنا يلعب الخيال دوره. الخيال مع الواقع في امتزاج جميل لا يحدث إلا في الحب. ولا بد من قدر من الخيال في الحب. إنها علاقة رومانسية تعتمد في جزء منها على الوهم الجميل.. على الحلم.. الحلم الذي يريد الانسان أن يحققه على أرض الواقع الصلبة.

.. وليس مستغرباً أن تكون المرأة في البداية هي الغازية والرجل هو الخاضع. مثلما نجد في أحوال أخرى أن يكون الرجل هو الغازي والمرأة هي الخاضعة.

إذن ليس هناك حتمية لدور معيّن يختص به الرجل أو المرأة.

كما أن الأمر ليس بسيطاً كما يبدو وخاصةً إذا عرفنا أنه في عملية الحب الحقيقي لا يوجد إغراء أو محاولات اجتهادية من طرف لشدّ انتباه الطرف الآخر.

كما أن الإنجذاب لا يحدث لوجود مزايا ولكنه شعور داهم شامل يُحرّك الإنسان ويدفعه دفعاً نحو الإنسان الآخر وكأنه ظل يبحث عنه سنوات عمره الذي مضى حتى وجده فجأة أمامه. إنه النور المباغت في وسط ظلمة حالكة يبعث على الدهشة ويذهب بالعقل في لحظات أشبه بالذهول.

إذن لا تعمُّد.. لا خطط.. لا محاولات إغراء.. لا اجتهاد في إظهار مزايا وإخفاء عيوب..

إنه شعور يقيني صادق بأن هذا الإنسان خُلِق لي وأنا خُلقت له. ولهذا يتحرك أحدهما نحو الآخر أو يتحرك كلاهما معاً كل منهما نحو الآخر. وكما قلنا فإن ما يُحدّد الدور الغازي هو من اندلعت لديه الشرارة الأولى والتي قد تسبق الشرارة التي اندلعت لدى الطرف الآخر بجزء من الثانية.

والأمر أيضاً يعتمد على خصائص شخصية كل منهما. ولكن مما لا شك فيه أن مسار العلاقة بعد ذلك يحتاج إلى دور أُنثويّ ودور

ذكريّ. إنه التكوين الطبيعي الربّاني. إنه ناموس الحياة وقانونها الثابت والذي تخضع له كل الكائنات.

.. المرأة عموماً تريد أن تُسلّم نفسها طواعيةً وكُلّيّةً للرجل الذي تحبه. الرجل الذي حين رأته اندلعت في كل كيانها شرارة الإحساس الأولى. تيقّنت أنه رجل الرجال.. الرجل الأوحد.. الرجل المُكمّل لها.. ليس من قبله ولا من بعده.. الصادق الذي أثق به فأخضع له. أسلّمه حريتي. أهبه نفسي.. أهبه حياتي.. وما أعظمها من هدية، وما أثمنها من هدية.

.. كيف يحصل رجل على هذه الهدية العظيمة ؟!

كيف يحصل رجل على حب امرأة.. ؟!

ماذا يفعل ؟!

ماذا يُقدّم ؟!

ماذا يمتلك من مواهب وإمكانيات ؟!

أي جهد يبذل ؟

أي خطة يرصدها..؟

لا شيء.. لا شيء على الإطلاق. بل أنه لو أنفق كل مال الأرض لما استطاع أن يحصل على حب امرأة فقيرة بسيطة ترعى الأغنام. إن حب المرأة شيء غال وثمين. شيء لا يُقدّر بمال الأرض جميعه. شيء لا تستطيع أن تحصل عليه حتى ولو كنت تملك كل مزايا الرجال مجتمعة.

.. المرأة تُعطي بإرادتها. بحريتها.. باختيارها المحض.. يستطيع

الرجل أن يغتصب امرأة ولكنه لن يحصل على روحها.. قلبها.. عواطفها.. وجدانها.. مشاعرها.. عقلها.. كلّها.. في الاغتصاب يحصل الرجل على جسدٍ ميّت.

.. إن أي رجل ذكي كُفْء يستطيع أن يكون ثرياً مشهوراً عظيماً ناجحاً في مجالات متعددة ولكنه لا يستطيع أن يحصل على روح امرأة بإرادته وحدها إن روح المرأة الهدية التي لا يستطيع منحها إلا المرأة ذاتها.

.. والمرأة لا تُعطي هديتها الغالية أي نفسها إلا لمن يستحقها عن جدارة. وهي لا تبغي شيئاً مقابل هديتها. إنها تُعطي نفسها بسخاء وكرم وطيب خاطر. إنها تغزوه بهديتها. تغزوه من أجل أن تخضع له.. تقتحمه لتستسلم..

إنه فعل فريد. تجربة فريدة غير قابلة للوصف، إنها بهذه الهدية، إنها بهذه الوحدة تبعث نبض الحياة في الرجل، إن الجثمان الميت تُبعَث فيه الحياة. بفعل هذا الحب الذي تمنحه امرأة. وهي مِنحة ذات قيمة لانهائية، وما أغلى من الذات الإنسانية. ما هو أغلى من الوعي الداخلي لإنسان، ما هو أغلى من جوهر الإنسان. إن مركز الوعي يجعل من نفسه هدية للطرف الآخر. إنه يقوم بمنتهى التضحية وذلك لأنه يُعطي الشيء الأكثر قيمة في الكون. وهو تصرف نابع من الحرية الخالصة. لا يوجد أي سبب أو احتياج يجعل المرأة تمنح هذه الهدية إلا أنها أحبّت.

والمرأة تفعل ذلك بإصرار داخلي. وهي لا تتوقع أي شيء في المقابل ولا تُلقي بشروطها على الطرف الآخر : أنا لا أريد منك شيئاً. وليس عندي شروط فقط أنا أحبك. فقط أنا أمنحك ذاتي.

فلتتقبل هديتي ولا تفعل شيئاً.. لا تتحرك.. لا تنشغل بشيء.

لكن كن أنت. كن في موقعك.. وسأنتظر عشرين سنة حتى تقول لي أُحبك. قد يكون هذا هو منتهى أملي. يكفي أنك موجود. يكفي أنني أستطيع أن أراك. فقط كل ما أتمناه أن تتقبَّل هديتي. أن تقبل ذاتي أن تُمسك بيدك حريتي. تصرَّف بتلقائية خالصة.. أنت بهذا يا حبيبي تخلق شيئاً من لا شيء.. تخلق حباً. إننا الآن إثنان بدلاً من واحد.

♡ ♡ ♡

.. يشعر الرجل بالخوف.. بالقلق.. بالرهبة.. إن المسؤولية كبيرة.

إن المرأة الغازية الخاضعة تُحمِّله فوق طاقته. ترى فيه ما لا يراه هو في نفسه. تراه كاملاً ويرى نفسه ناقصاً. تراه جميلاً وهو لا يرى نفسه كذلك. تراه عظيماً ويرى نفسه عادياً. تُحمِّله مسؤولية حرية إنسان وهو غير قادر على تحمل هذه المسؤولية.

.. ولكنها حين تمنحه نفسها فإنها تمنحه وعيها الداخلي فإذا به يرى نفسه بوضوحٍ على مرآة هذه الذات العاشقة. يرى نفسه لأول مرة. فإذا كل ما حقَّقه في الحياة يتضاءل أمام هذا الإنجاز العظيم وهو أنه حَظِي بحب امرأة. إنجاز لم يبذل جهداً من أجل الوصول إليه. حَظِي بتسليمها وخضوعها وامتلاكه لإرادتها وحريتها. يشعر بأنه يُعاد خَلْقه من جديد كمخلوق متكامل. يشعر أنه أمام تجربة عظيمة. ميلاد جديد. حياة جديدة. معاني جديدة. أول تجربة للتلاحم الإنساني.. الاكتمال.

.. المرأة هنا اختارت أن تُعطي والرجل تلقَّى الهدية. هنا تكمن

أسباب وفاعلية وأهمية الغزو والتسليم.

الغزو يعني أن الواحد أصبح اثنين دون أن يفقد الفرد فرديّته. وبالمثل فإن التسليم يعني أن الواحد قد أُصبح اثنين دون التلاشي. إن المرأة لا تتلاشى أو تتبخر أو تنصهر حين تُسلِّم بل على العكس فهي تحتفظ بالتكامل. والرجل لا يُحطِّم المرأة حين يغزوها وحين يتقبَّل حريتها. بل هو يراها كذاتٍ فريدة متميِّزة متكاملة غاية في الروعة رائعة الحسنِ مثيرة لكل خيال وجمال جديرة بالاحترام والتقدير. إنها تعيد خَلْقه وهو يعيد خَلْقَها.

إن إمكانية الانصهار في عناق شديد مع الإبقاء على الفردية في الوقت نفسه هو جوهر الوجود كله.

.. تقول المرأة للرجل وهي تقدم هديتها : لقد استطعت الوصول الى أعمق أعماق ذاتي دون أن تبذل مجهوداً. استطعتَ أن تلمس جوهر وعيي. إنني أشعر أنني تحت سيطرتك تماماً.

.. هنا يشعر الرجل بأنه أمام حَدَث هام في حياته. حَدَث يهزُّه هزاًّ. ضوء ساطع كاشف يتسلط على داخله فيُضيئه ويُبهره. إنه يرى ذاته من خلال هذه المرأة العاشقة. لقد كان هو مِرآتها وهي الآن مِرآته.

.. يشعر الرجل بسعادة فائقة. ليس زهواً وليس غروراً. وليست سعادة الإنسان العادي حين يخضع له إنسان آخر. فهذا ليس خضوع الذل والانكسار أمام قوة غاشمة. إنه خضوع إرادي لا يُقدِّره إلا الإنسان الناضج المتكامل السويّ نفسياً. حين يشعر الرجل بهذه السعادة الطاغية وحين يرى ذاته على مِرآة وعي هذه

المرأة فإنه يكون قد وقع في حبها.. فيقترب ويدنو. يهب ويمنح. يعطي ويسخو. يُقدِّم ذاته.. أي يغزو.. يغزو دون أن يطلب خضوعاً. فتخضع المرأة.. تستسلم.. تُسلِّم.

.. وإذا أمعنّا النظر واقتربنا أكثر وأكثر وأرهفْنا السمع الى خَلَجات نفس المرأة لاكتشفنا أن التسليم هو أكثر التعبيرات رِقّةً في وصف الأنوثة.

التسليم يُتيح للرجلِ أن يشعر برجولته. بهذا يحدث الاتحاد بين الذكر والأنثى.. سرّ الوجود.. سرّ الخلق.. سرّ الإبداع.

فالأنوثة لا تتحقق إلا من خلال رجل أو بالأحرى من خلال حب رجل.

هنا فقط تتحقق المرأة من أنوثتها ولهذا فإنها باندفاعٍ واعٍ ولهفة مطمئنة وتسرّعٍ واثقٍ تضع نفسها تحت إمرة هذا الرجل وتهبه كل شيء بدون تحفّظ وتدافع عن علاقتها به حتى الموت.. تتحدّى.. تناضل.. تتنازل عن أي شيء.. المهم ألا يضيع منها.

.. هذا الرجل الذي أحبته ووثِقَتْ بهِ وتوسّمت فيه الصدق، وحقق لها إحساسها المتكامل المتعاظم بأنوثتها، وتكون في قمة سعادتها بل في أعلى قمة في الوجود حين يحبها.

هذا الرجل الذي أحبته. هي اختارته. هي أقبلت عليه. هي عزّته. هو استسلم لها. هو أحبها. هي خضعت له. هي على استعداد أن تُعطيه كل شيء. هي أسعد امرأة في العالم لأن الرجل الذي أحبته أحبها. تشعر بالاكتمال والامتلاء والشبع. هي الآن أمسكت نجوم السماء بأيديها.. ولا يهمها أحدٌ إلا هو.

هو كل الناس مجتمعين. هو فوق الجميع وقبل الجميع. هو فقط الذي تتزين من أجله. لا تقلق بشأن شكلها ومظهرها إلا حين تكون معه. لاتشتاق لأحد إلا له.

إن كل شيء يكتسب معنىً به ومن خلاله ومن أجله. ماضيها كان استعداداً للقائه. وحاضرها مسخّر له. ومستقبلها مُدَّخر له. إنها امرأة به وأنثى من خلاله.

ويتملكُها شعور يقيني أنه لا يستطيع أن يعيش بدونها. أنها أصبحت كل شيء بالنسبة له. أنها تسري في دمائه. ولهذا تتفاني في إرضائه. في خدمته. في الاستجابة لكل طلباته. ويسعدها ويلذّ لها أن تدعم عنده دور الغازي. وأن تؤدي هي دور الخاضعة المستجيبة لكل طلباته السعيدة بتعبها وتضحياتها وكدّها من أجله.

.. إن الحب هو كل حياة المرأة، ولهذا فإن أي شيء تقدمه لا يُعتبر شيئاً في نظرها في سبيل أن تنعم بلحظة وِصالٍ مع حبيبها.

إنها على استعداد أن تفعل أي شيء وأن تبذل أي شيء.

إنها تسعد بحبها له. سعادتها في حبها.

أما الرجل فيسعد بحب المرأة له. وهي تريده لذاته. ليكون موجوداً. وأن تبذل له أي شيء.

هذا هو الفرق بين المرأة والرجل. ولذا فهي الغازية الخاضعة منذ البداية. ثم تستمر خاضعة لتتيح للرجل أن ينعم بحبها وخضوعها واستسلامها وتُنشط هذا الجزء الذكري الغازي فيه. ثم تُتيح له بعد ذلك نعيماً أن يخضع ويُسلّم حين يهيم بها حباً وشغفاً فتنعم هي بحبه.

.. ولذلك وبشكل عام فإن الرجل في مسار العلاقة يؤدي معظم الوقت دور الغازي والمرأة تؤدي معظم الوقت دور الخاضع المستسلم حتى كادت أن تصبح هذه هي السمة العامة لدور الذكر ولدور الأنثى.

.. ولا شيء يحقق رجولة الرجل إلا امرأة.

حتى أشهر القادة العسكريّين الغازين في التاريخ وأكثرهم نجاحاً وانتصاراً وقوة فإنه حين يخلو الواحد منهم الى نفسه لا يجد إلا المرأة التي يحبها وتحبه لتؤكّد له قدراته الحقيقية. قدراته الإنسانية. قدراته كقوة روحية قادرة على بعث الثقة والطمأنينة في نفس امرأة عن طريق صدقه.

هذه هي القوة الحقيقية. هذه هي الشجاعة الحقّة. هذا هو الإيمان العميق. هذه هي الرجولة.

١٠

قلق الحب

♥ .. رغم الهناء والاستقرار. رغم الأمان والطمأنينة والسلام.

رغم الإمساك بنجوم السماء والاطّلاع على سر الكون. رغم العثور على كنز الكنوز والإحساس بالغنى والشبع والامتلاء والكمال.

رغم كل هذا، إلا أن الحب لا يخلو من قلق وخوف وحزن وألم يصل أحياناً الى حد العذاب والجحيم.

بالرغم من الإحساس بالاستقرار والأبدية إلا أنه يظل هناك قلق غامض.. حزن خافت.. خوف مبهم.. أرضيّة من الألم تبرز عليها سعادة لا تتحقق بحق إلا إذا كان الحبيب قريباً ملء العين الى حد الالتصاق. هنا فقط ينغمر الحبيبان في نشوة التوحّد والذوبان. ويمعنان في الاقتراب والالتصاق لمواجهة هذا القلق وتلك الوحشة. فالعذاب يكون حقيقياً ومكثّفاً والألم يكون مركزاً في الابتعاد. هنا تتعاظم المخاوف ويتضخم القلق وتعمق الأحزان.

.. يقترب الحبيبان ويبعدان.

وفي الاقتراب يعانيان من قلق الخوف من السأم.

وفي الابتعاد يعانيان من قلق الخوف من الهجر والنسيان..

يقتربان يشدّهما الشوق، ويبتعدان ليتجدّد الشوق ليقتربان أكثر وأكثر.

وهكذا في حركة بندولية لا سكون لها ولا توسُّط..

وفي الابتعاد تكون الرؤية أوضح. ابتعاد يُتيح التأمل والتركيز ومحاولة الاكتشاف ولكن هيهات أن يصل الى نهاية مُطْلَقَة.. هيهات أن يمسك بكل النجوم مجتمعة.. هيهات أن يصل الى السرّ الأعظم.. هيهات أن يحتوي بقلبه كل الكنز. يظل هناك دائماً أمراً مخفياً..

يظل هناك أمر غامض. يظل هناك لغز يستعصي على الحل. تظل هناك معضلة فكرية تستعصي على الفهم الكامل.

يظل هناك حجاب ساتر لا يكشف عن الكل بل يخفي جزءاً يجتهد الإنسان العاشق في الوصول الى كنهه. الى كشفه.. الى فهمه.. الى إدراكه.

.. ولذلك تظل هناك بقعة قلق على أرضيّة السلام والطمأنينة. يظل هناك نقطة قلق في أرضيّة السعادة.. تظل هناك مساحة حزن في أرضيّة الشوق.. هذا هو قلق الحب. ولا يحدث هذا إلا من شدة الحب.

.. وتلك هي الحدود البشرية. حدود الإنسان. فالإنسان في الحب يطمع في أن يتحقق من الكمال. من الأبدية. من اللانهائية.. من

الخلود.. من المطلق.. يريد أن يتحقق من أنه قهر الموت وأنه كشف سر الحياة.. سر الخلق.. سر الوجود..

يريد أن يُحيط الكون كله بعينيه وأن يستوعب الحكمة كلها بعقله وأن يستشعر كل الطمأنينة بقلبه.

في لحظة هو يريد الفناء الكامل في حبيبه ويريد لحبيبه الفناء الكامل فيه.

ولكنه يقلق من ضياع العلاقة لأن العلاقة تتطلب إثنين لا واحداً. ولذا فإنه في اللحظة التالية يريد الانفصال. أن تكون هناك مسافة.. مسافة تُتيح له الرؤية الواضحة.

الرؤية الشمولية الاستيعابية. الرؤية الفاحصة المتأمِّلة المدقِّقة التي تجلب متعة التطلع الى الحبيب. التطلّع الى داخله. إنها رؤية الداخل للداخل وليس مثلما نبتعد عن لوحة معلَّقة على الحائط لنراها بوضوح.

إن الحبيب يستطيع أن يغلق عينيه ورغم ذلك يرى حبيبه بوضوح شديد. إن هذه المسافة تُتيح له أن يغوص في داخله. أن يستشعر داخله وأن يستوعب فكره ووجدانه.

ولكن يداهمه القلق والعجز عن الإحاطة الكاملة. عجز القدرات البشرية. عجز الإنسان. فيقلق ويجزع. فيقترب لعلَّ الاقتراب يتيح له احتواءً من نوع آخر.

يقترب الى حد الالتصاق وامتزاج الأنفاس. ويذهب قلقه الى حين. يكونان في أقرب نقطة تلاقٍ. ولعلَّ الأبدان هي أحد الوسائل التي يلجأ اليها الحبيبان لتحقيق أقرب نقطة تلاقٍ. أقصى درجات الاقتراب.

وهنا تأتي أهمية الأبدان وهي أهمية ثانوية وليست أوّليّة. وهذا هو الفرق بين الحب العشقيّ والجنسيّ.

.. الجنس يُحقق تلاقياً مؤقتاً للأجساد لإفراغ رغبة تشعر بعدها الروح باللّوعة وبمزيد من الوحدة وربما الاشمئزاز..

أما في الحب العشقيّ، فإن تلاقيَ الأبدان يُحقق قَدْراً من الطمأنينة والسعادة استجابة لرغبة الأرواح في مزيد من الاقتراب والالتصاق.

ولهذا، فإن الأبدان في الحب العشقيّ هي وسيلةٌ وليست هدفاً.

.. وتستمرالروح قلقةً في سعيها الى الحبيب. تستمر الأشواق. يستمر التطلّع. تظل محاولات الاقتراب ثم الابتعاد من أجل الاقتراب.

إنها الأرجوحة الصاعدة الهابطة التي تبدأ من نقطة لتبتعد عنها لتعود إليها ثم تبتعد عنها لتعود إليها. لا سكون ولا استقرار عندها. بل ابتعاد من أجل معاودة الاقتراب.

وحين نصل إلى هذه النقطة ونظن أنه آن أن نستقر ونسكن إذ بقلق السكون يعاودنا. قلق السأم.. فيداهمنا خوف.. فندفع الأرجوحة الي الابتعاد.. إلى الهبوط مرة أخرى. فيؤلمنا الحنين والشوق.. يمزقنا الأرق.. نُصاب بالجنون للابتعاد.. نخاف الفقد.. فقد الحبيب هو فقد الحب.. هو فقد الحياة.. إنه الطريق إلى المِقصلة. إنه الإعدام الذي يفضي إلى العدَميّة واللاشيء والنهاية..

ولهذا يندفع الحبيب نحو حبيبه لتعود إليه الحياة.. فرحة اللقاء بعد غياب مثل فرحة من أعفوا عنه وأعتقوا رقبته.. مثل فرحة الطفل حين يعثر على أمه بعد أن تاه عنها.. اللقاء فرح.. فرح زوال

كانت درجة صداقته أو قرابته ومهما كان صادق النيَّة صافي النفس. ولا شيء يثير الحسد في الدنيا قدر الحب. إنه جنة الله على الأرض. ولهذا فالمحبون الحقيقيون قليلون والحاسدون كثيرون.

.. والطرف الثالث دائماً ما يُسيء الى علاقة الحب حتى وإن كان حسن النية وخاصة إذا لجأ إليه المحبان للتحكيم أو الوساطة أو للاستشارة.

المحبان لا يحتاجان الى هذا الوسيط. إن أي خلاف بينهما من الممكن أن يزول في لحظة. وأياً منهما يستطيع بسهولة أن يتخلَّى عن وجهة نظرة من أجل الطرف الآخر. وخلافاتهما سطحية وعابرة وبسيطة. ومهما تباعدت وجهات النظر ومهما عمق الخلاف فإنهما سرعان ما يلتقيان ويتفقان وسرعان ما يتناسيان ما كان بينهما من اختلاف وخلاف.

هذه الحقيقة قد لا يفهمها الطرف الثالث. أي قد لا يفهم طبيعة المحبين، ولهذا فهو حين يتدخل في نزاع أو خلاف فإنه يتعامل معه بمنطقه هو أو بمنطق الناس العاديين. وهو إذ يحاول أن يكون عادلاً ومنصفاً فقد يُناصر طرفاً ويُدين الطرف الآخر، ويميل لوجهة نظر ويختلف مع وجهة النظر الأُخرى فإنه بذلك يُفسد لا يُصلح ويزيد الهوَّة ويُعمِّق الخِلاف.. لأنه لا منطق في علاقة الحب ولا حاجة الى العدل ولا ضرورة للإنصاف.

إذ أننا نرى أن المحبين إذا تصالحا يتنازل كل منهما عن حقه ويتراجع عن موقفه ويتخلى عن وجهة نظره.

فالحب ما هو إلا عطاء بلا انتظار لمقابل وإيثار وتضحية وحماية

ورعاية ومسؤولية.

إذن لا حاجة للعدل والإنصاف والمنطق.

.. والطرف الثالث قد تُحرِّكه دوافعه اللاشعورية التي يغمرها الحسد فيُسيء من حيث لا يرغب شعورياً في الإساءة أو قد تحركه دوافعه الشخصية أو مشاكله هو فيُسقطها على أحد الطرفين وفي هذا أيضاً إساءة وتجسيم لأي مشكلة.

.. وقد يكون الطرف الثالث حاقداً وهو ما يُسمَّى بالعَزول وهو من يتعمَّد الإساءة شعورياً أي عن قَصْدٍ ولكن بخُبْثٍ ومكْرٍ ويزيد النار اشتعالاً.

وتلك أحد الأخطاء القاتلة التي يقع فيها المحبون حين يُشرِكون أطرافاً أخرى في حياتهم فيدفعون الثمن ألماً وعذاباً.

.. مهما أُوتيَ أي إنسان القدرة على الفَهْم الواعي والإحساس العميق والمشاركة الوجدانية. مهما أُوتي من صدقٍ وصفاء فإنه لن يستطيع أن يُدركَ عمق العلاقة الروحية التي تربط المحبين.. إنها نفحة إلهية. صلة عميقة باطنية. سرٌّ غامض.

.. أما الخيانة فلا مكان لها في الحب الحقيقي. الخيانة تقضي على أي مشاعر. وإذا قلنا أن الخيانة تقتل الحب فهو أصلاً لم يكن حباً طالما أنه سمح للخيانة بأن تقع. فلا حب مع الخيانة ولا خيانة مع الحب.

ولذلك فأنت لن تجد على وجه الأرض حبيباً يشكو من خيانة حبيبه فهذا أمر مستحيل الحدوث.

.. ثم يتبقّى نوع أخير من القلق.

قلق مُبْهَم غريب غامض لا تفسير له.. إذ ترى المحبين في ظل سعادتهم ونشوتهم واستغراقهم واستمتاعهم يشعرون بتسرب القلق والخوف.. يشعرون بحزن خافت. بألم رقيق. بعذاب محتمَل. مزيج غريب. لا راحة مطلقة.. قدر معين من التنغيص.. قدر معين من الحَيْرة.. ولكنه على كل حال ألم مُستعذَب.. فكلّما صعدت الروح في دروب السمو والرّفعة نحو سماء الفضيلة والجمال، فإنه لا بد أن تُكابد ألماً إذ أن الألم وَثيق الصلة بالسموّ.. الألم وثيق الصلّة بالحب.

١١

الحب والجنس

♥ .. الجنس شيء جسديّ.. أما الحب فهو الوعي وهو الحقيقة المعنوية.. الحب شيء ثمين، أما الجنس فهو مجرد حاجة بدنية.. الحب مقدّس وليس الجنس.. الحب يتواجد فقط كظاهرة مقدّسة.. لا يوجد حب سيئ.. الحب السيّء ليس حباً على الإطلاق.. الحب هو شيء إلهي رومانسي.. ومن الممكن أن يكون الجنس شيئاً رائعاً، ولكن هناك جنس سيء رخيص.

.. والحب علاقة بين الأرواح.. بين الذوات.. علاقة بين وعي داخليّ ووعي داخليّ آخر.. علاقة بين الجوهر والجوهر.. إنه تلاقي إنسان مع إنسان آخر على مستوى الذات.. الروح.. الوعي.. الجوهر.. علاقة شموليّة.. فيض من نور الله.

أما الجنس فهو علاقة بين الأجساد.. إلتقاء جسد مع جسد.. ولا يخلو حب من جنس ولكن قد يخلو جنس من حب.. وإذا كنا نقول أنه لا يخلو حب من جنس فهذا ليس معناه الربط الكامل بين الحب والجنس.. فالحب ظاهرة منفصلة مستقلة.. ظاهرة تعلو فوق الرغبات والشّهوات.. علاقة دائمة وليس حالة مُلِحَّة تدعو الى

تحقيق رغبة وإرضاء شهوة وإفراغ حاجة.. الحب حالة دائمة أما الجنس فهو حالة مؤقتة.

.. في الحب الحقيقي لا يكون هناك اشتهاء جنسيّ.. ولكن تكون هناك رغبة في التلاقي والاقتراب والالتصاق.. الرغبة الجنسية في الحب تأتي كمسألة ثانوية وبطريقة المصادفة.. الجنس لا يلعب دوراً أولياً في علاقة الحب.. الحب علاقة شاملة أي تشمل كل شيء.. تشمل الوعي والروح والذات، والأبدان. تكون مجرد وسائل.. الحب لا يشمل البدن ولكن يُحرّكه ويُنشّطه.

.. أما الجنس فمن الممكن أن يكون مُنفصِلاً تماماً عن أي مشاعر.. قد يتمتع الجنس عند بعض الناس باستقلالية تامة.. جنس بلا حب.

وأيضاً قد يكون هناك حب بل جنس على الاطلاق، أو قد يطلّ الجنس إطلالة رقيقة خفيفة، أو قد تكون هناك رغبة جنسية عارمة تتعادل وتتوازن وتتوافق مع شدة الحب وشدة الرغبة في التلاقي ويكون بذلك تعبيراً عن الرغبة في الالتصاق والتلاحم والذوبان.

وإذا أمعنّا النظر لا يكون الجنس هنا تحقيقاً لرغبة جنسيّة حادة ومُلِحّة بقدر ما هو وسيلة للتعبير أو أسلوب للتعبير. يصبح مثل الكلمات الرقيقة والهمسات الحالمة واللمسات الحانية والبسمات الهائمة.. يصبح الجنس شكلاً من أشكال الاتصال والتواصل.. إنها نشوة الحب التي تهزّ الأجساد مثلما تهزّ الارواح.

ولهذا نجد بعض المحبين يسعدون أيما سعادة بالعلاقة الجنسية معاً.. ونجد آخرين من المحبين لا ينشغل بالهم إطلاقاً بأمر هذه العلاقة وقد يعزفون عنها وتحتل مركزاً متأخراً في علاقتهم ويجدون متعة أكبر

في المشاركة في أشياء أخرى، بخروج في نزهة أو الحديث والسَّمَر.. وفي أحوال نادرة تنعدم الرغبة الجنسية تماماً مع شدة الحب ورومانسيته.

.. ويبدو أن الأمر يتوقف على نوع الشخصية والبناء النفسي والتراث الثقافي الحضاري للشخص ذاته.. وقد يُكيِّف أحد الطرفان نفسه على شخصية الآخر بما لها من فلسفة وأسلوب واحتياجات ونظرة للأمور.. فقد يختلفان اختلافاً مبيناً فبينما تكون هي مثلاً عازفة عن الجنس ومكتفية بوسائل أخرى للاتصال والتعبير يكون هو مُقبِلاً أكثر على الجنس وأيضاً كوسيلة للاتصال والتعبير.. ولكن رغم اختلافهما فإن هذا لا يُعوِّق سعادتهما ونجد أن أحدهما يُكيِّف نفسه حسب احتياجات الآخر.

.. أما حينما يكون الجنس مستقلاً.. الجنس لمجرد الجنس، فلا بديل عن الممارسة ويكون هذا هو قوام العلاقة وعمودها الفقري ومبعث استمرارها.. أما الجنس في علاقة الحب ما هو إلا مرحلة اختيارية لاحقة.. إنه أسلوب يتعلق بكيفية وإمكانية التعبير عن الحب. الحب الأمثل يتواجد على مستوى الوعي الخالص وبعد ذلك قد تكون له مظاهره الاجتماعية والبيولوجية كالزواج والجنس والأطفال.. الرغبة في الزواج بين المحبين مثل الرغبة في الجنس.. الزواج حاجة إجتماعية.. شكل من أشكال الارتباط والتواصل والالتصاق بين المحبين.. أن نكون معاً.. أن نستمر معاً. ألا يبعدنا شيء. ألا يفصلنا شيء وكذلك الرغبة في الجنس.. هو شكل من أشكال الارتباط و التواصل والالتصاق بين المحبين.. أن نكون في أقرب نقطة. أن نلتصق أكثر وأكثر.. أن نتلاحم.. أن نذوب.. أن نفنى.. إنها

الرغبة السامية والقصوى في التوحّد.. ذلك؛ هو التعبير بالجزء البشري في الإنسان.. والزواج هو التعبير عن الجزء الاجتماعي في الإنسان. أما الرغبة في الأطفال فهي التعبير عن الجزء الأسري في الإنسان.

.. الجوهر الحقيقي للإنسان يُملي عليه أن يتلاقى مع جوهر إنسان آخر حقيقي، وهذا هو الوصف الدقيق للإنسان الحقيقي، إن جوهر الإنسان لا يكون في تحقيق ذروة الاستمتاع الجنسي بل في الالتقاء بالوعي الداخلي لإنسان آخر. التقاء الروح.. إكتشاف الذات.. الانفتاح على الوعي الآخر وإتاحة الفرصة لهذا الوعي الآخر أن يرى صورته الحقيقية ثم ليصعدا معاً في سماء الحب والفضيلة.. ثم يكتشفا الرغبة الجنسية المتبادَلة بالمصادفة.. فتكتسب هذه العلاقة الجنسية أهميةً ومعنىً خاصاً مرتبطاً بعلاقة الحب التي تجمعهما.

.. وفي ظل علاقة الحب لا تصبح للتفاصيل الجنسية أية أهمية مثل جمال الجسد واستجابة المرأة ومقدرة الرجل.. يصبح الأداء نفسه غير مهمّ.. لا تهمّ الطريقة أو الأسلوب أو الأوضاع. مثل هذه التفاصيل التي تتعرض لها كتب الجنس ويتعرض لها المهتمون مهنياً بالجنس كالأطباء. هذه التفاصيل لا تهم في كثير أو قليل العاشقين.. ولكن مثل هذه التفاصيل تكون على درجة كبيرة من الأهمية حينما يكون هناك جنس للجنس. أي يكون الجنس هو أساس العلاقة.. هنا تهتم المرأة بمظهرها ومدى قدرتها على إثارة الرجل وإمتاعه وتتفنّن في أساليب تتعلّمها من الكتب أو من نصائح الطبيب أو من الصديقات.. مثلما يهتمّ الرجل بمقدرته وأدائه ومدى إمكانية أن يسعد المرأة التي معه. ويهمه في النهاية أن يرى

في عينيها رضاءها عن أدائه، وقد يسألها سؤالاً مباشراً : هل استطعت أرضائك والوصول بك الى قمة النشوى.. ويشعر بالزهو لذلك. وكأنه يريد أن يقول لها أنك لن تجدين رجلاً آخر قادر على إمتاعك مثلي. أو وكأنه يُعاني خوفاً داخلياً من أن يكون هناك رجل آخر قد استطاع أن يُرضيها بطريقة أفضل منه، إذ أن هذه النوعية من العلاقات القائمة على الجنس فقط لا يوجد فيها إخلاص أو ثقة أو وفاء. هي في الغالب علاقات تعددية لا استمرارية فيها. ولهذا فالشريك يتفنن في اختيار شريكه ويحافظ على إرضائه، ويهمله إذا فشل هذا الشريك في إرضاء رغباته وتحقيق توقّعاته.. إنها علاقة تعتمد على الأخذ والعطاء بقدر متساوٍ.. على عكس علاقة الحب التي تعتمد على العطاء المطلق بدون انتظار مقابل.

♡ ♡ ♡

.. والذروة الجنسية في علاقة الحب ليست فقط هي الاستجابة الفسيولوجية النهائية الكاملة.. إنها حالة مستمرة من المتعة تشترك فيها النفس والجسد معاً.. كل النفس، وكل الجسد وليس أجزاء بعينها.. إنها حالة من النشوى الشاملة الآخذة.. والغريب أن المرأة العاشقة قد لا يتحقق لها هذه الذروة النهائية مع من تحب ولكنها لا تشعر بافتقادها لشيء.. وليس هذا خرقاً للقوانين الفسيولوجية ولكنها تعيش حالة الإرضاء الشامل وافتقاد هذه الجزئية لا يُسبب لها إزعاجاً بل قد لا تشعر إطلاقاً أنها تفتقد شيئاً.. فقد تتزوج المرأة من رجل لا تحبه، وقد ينجح هذا الرجل إلى أقصى حد في تحقيق ذروتها الجنسية.. ثم تتزوج من بعده رجلا آخر تحبه ولا يقدر على تحقيق ذروتها بالقدر الذي سبق أن تحقّق لها مع زوجها الأول..

مثل هذه المرأة تستطيع أن تُقرِّر بوضوح أن متعتها الجنسية تتكامل مع الزوج الثاني الذي تحبه، وأنها كانت تفتقد أشياء كثيرة مع الرجل الأول الذي لم تكن تحبه.

.. إذن الجنس في إطار الحب ليس فقط الممارسة الميكانيكية التي تعتمد على القوانين الفسيولوجية المحضة.. إنها تجربة استيعابية شاملة لها جانبها المعنوي والجسدي.. أما في العلاقات الجنسية المحضة فإن التركيز يكون على الأداء الذي يُحقِّق تلك الاستجابة الفسيولوجية الكاملة وما دون ذلك يُعتبَر تقصيراً وفشلاً في بلوغ الغاية.

.. والإنسان في بداية حياته قد يُمارس الجنس لذات الجنس ولكنه حين يحب حباً حقيقياً يكتشف أن هناك معنىً آخر للجنس.. إذ يستمتع بنوع آخر من الجنس لم يعرفه رغم تعدُّد خبراته الجنسية قبل الحب.. وتنغلق الدائرة الجنسية عليه مع من يحب. وأي مؤثرات أخرى مهما كانت قوية تفتقد القدرة على تحقيق أدنى قدر من الاستثارة أو الاستجابة لديه ولذلك لا يوجد ما يُسمّى بالخيانة البدنية مع الحب إذ يفقد أي موضوع جنسي خارجي قيمته وتأثيره طالما أن هناك حباً، فيفقد الرجل قدرته على النظر إلى أي امرأة على أنها موضوع جنسي. وتفقد المرأة قدرتها على النظر إلى أي رجل على أنه موضوع جنسي.. تنعدم المشاعر الجنسية إلا لمخلوق واحد و هو الحبيب.. أي أن الاخلاص لا يكون مُتعمَّداً في علاقة الحب الحقيقي.. إنه إخلاص لا إرادي، وإخلاص البدن من إخلاص الروح.. وهذا يجعل الجنس عند الإنسان مختلفاً عن الجنس عند الحيوان.. وهذا أيضاً يجعل ممارسة الجنس خارج إطار الحب مختلفاً عن ممارسته داخل إطار الحب. وهذا يعكس أيضاً اختلاف

طبيعة وشخصية الإنسان الذي لا يمارس الجنس إلا في إطار الحب عن طبيعة وشخصية الإنسان الذي يمارس الجنس للجنس.. إنهما مختلفان اختلافاً تاماً.. اختلاف في الجذور الأساسية للشخصية والبناء النفسي.. نوعان مختلفان من البشر.

.. الجنس في حياة العشاق قيمة اختيارية وليس احتياجاً ضرورياً يجب علينا إشباعه.. إنه اختيار حقيقي وليس إلزاماً حتمياً.. إنه فرصة تُمنح وليس واجباً مفروضاً.. إن عظمة الإنسان تكمن في طريقة بنائه لنفسه وعالمه.. إنه هو وحده الذي يُحدّد الدور الصحيح للجنس طِبقاً لأسلوب حياته ورؤيته للعالم.. إن كل إنسان أمامه الاختيار الحر.. واختياره هذا نابع من شخصيته ولذلك فإن فسيولوجية الإنسان (غرائزه) تخضع لشخصيته وبنائه النفسي أي تتبع أسلوب حياته ورؤيته للعالم.

ولذلك فالإنسان ليس في حاجة الى أطباء متخصّصين في الجنس وليس في حاجة إلى أطباء نفسيين لتحديد علاقته بالناس وعلى الأخص علاقاته بالجنس الآخر.. الانسان حر.. صاحب إرادة.. لديه قدرة مطلقة على الاختيار وذلك تبعاً لشخصيته وبنائه النفسي.. تبعاً لأسلوب حياته ورؤيته للعالم..

إن الاطباء والمتخصصين لا يستطيعون الاختيار لنا.. الإنسان اختيار.. قرار.. أما الحيوان فهو غريزة محضة.

.. ولكن الأطباء والمتخصصين يستطيعون أن يقولوا لنا ما هو طبيعي وما هو غير طبيعي.. ما هو أصيل وما هو غير أصيل.. إن أي فعل يتعارض مع طبيعة الإنسان الحقة، طبيعة الإنسان الحقيقي هو فعل غير أصيل.. فعل شاذ.. لأنه لا يتّسم بالصدق.. لأنه يُعتبر انتهاكاً لمجال الوعي.. لأنه لا تتوفر فيه سِمات التحقّق مع الذات.

فالعادة السرية مثلاً فعل إنساني غير صادق.. وكذلك معاشرة امرأة بغي.. وبالمثل اغتصاب امرأة ضد إرادتها.. وأيضاً ممارسة الجنس لذات الجنس.. إنها كلها ممارسات تُحقّق إرضاءً وإشباعاً على المستوى الفسيولوجي ولكنها تخلو من أي معنى إنساني.. تتعارض مع طبيعة الإنسان السويّة هذا بالرغم من أنها من الناحية الفسيولوجية لا ضرر منها ولا خرق لأي قاعدة فسيولوجية ولكنها خرق كامل للطبيعة الإنسانية.

إن كل هذه الممارسات السابقة نستطيع أن نراها على مستوى الحيوان ولا نرى ذلك غير طبيعي لأن الحيوان يفتقد للوعي.. يفتقد لإرادة الاختيار المبنية.. على وعيه بذاته.

وبالمثل فإن الإنسان الذي ينغمس في مثل هذه الممارسات الجنسية غير الأصيلة فإنه يفتقد للوعي. يفتقد لإرادة الاختيار المبنيّة على وعيه بذاته وإدراكه لإنسانيته وانبثاقاً من قِيم ثابتة راسخة داخله.

.. وبالتالي فإن الجنس بين عاشقين يُولّد معانٍ عميقه وجميلة جالبة للذّة شاملة.. تفوق حدود اهتزازات الجسد. أما الممارسة في حالة الاغتصاب وحيث لا تتوافر الموافقة في حالة الاغتصاب وحيث لا تتوافر الموافقة والتقبُّل المشترك، وكذلك الممارسة في حالة ممارسة الجنس للجنس وحيث لا تتوافر معرفة أصيلة لجوهر الطرف الآخر فإن الممارسة الجنسية في هاتين الحالتين تُعتبَر اختياراً غير صادق. كما أن غياب الطرف الإنساني المقابل في العادة السرية يُعتبَر أيضاً اختياراً غير صادق.

♡ ♡ ♡

.. إذن الجنس في إطار علاقة الحب هو الصدق بعينه.. هو الاختيار الصادق. إن الصدق يعني أن الاختيار قد تمَّ بوعي وإدراك تامَّين.. وأن هذا الاختيار منسجم مع بناء مجال الوعي الإنساني. أما عدم الصدق فهو انتهاك لقيمة وأهمية الوعي الإنساني ودوره في توجيه سلوك الإنسان.

.. إن الصدق في علاقة الحب الحقيقي معناه أنه من خلال الوعي الإنساني السامي يقوم الطرفان بترجمة مشاعرهما إلى واقع جسدي وبيولوجي. وهذا هو السر لمنتهى الإشباع الجسدي الذي يتحقَّق من خلال هذه العلاقة. ولذلك فالمحبون يُدركون أجسامهم بشكلٍ شاملٍ ومتكاملٍ ولا يَرْون فيه نقصاً أو عيباً ولا يجزعون لتأثير تقدُّم العمر.

بل أن المتعة تتزايد حين يُدركون دور وأهمية الجسد في تحقيق ضرب من التواصل وضرب من التعبير.. ولذلك فإننا نرى مثلاً سيدة في السبعين قد عاشت حياة جنسية حافلة ممتعة مع رجلٍ واحد تحبه بينما فتاة في العشرين فشلت رغم الممارسات المتعدِّدة أن تحقق أي متعة جنسية وذلك لأنها مارست الجنس كبغي أو أنها مارسته على سبيل التجريب أو بدافع جنسيٍ محضٍ مع رجل لا ينظر اليها إلا كموضوع جنسي.

.. إن كلمة الإشباع تُفهم خطأً على أنها إرضاء فسيولوجياً كاملاً.. ولكن في الحقيقة وعند الإنسان الحق فإنها تعني إشباعاً نفسياً وفسيولوجياً.. وأن هذا الإشباع الفسيولوجي يتحقق نتيجة للإشباع والارتواء النفسي.. أي أن الإشباع الفسيولوجي لاحق وليس سابق ولا يمكن أن يكون منفرداً مستقلاً.

.. وهذا معناه أن الإنسان لا يعيش جسده من الخارج الى الداخل لكنه يعيشه من الداخل إلى الخارج.. أي أن نقطة البداية هي الذات الداخلية العميقة.

إن الذات هي وسيلته للإحساس بجسده. ولهذا فإنه إذا كان بناؤه النفسي سوياً.. وإذا كان على علاقة حب حقيقية.. أي أنه قد اكتشف جوهره الحقيقي فإن اهتمامه بالمظهر الخارجي يكون محدوداً وكذلك إهتمامه بالكيان الجسدي لمحبوبه يكون محدوداً أيضاً.

أما الإنسان الذي يعيش جسده أولاً فهو ذلك النَّرجسيّ الذي طغى إحساسه الجسدي على شعوره بذاته العميقة، ولهذا فهو لا يهتمّ إلا بكل ما هو ماديّ ملموس مرئي. لا يهتمّ إلا بكل ما يحقق إشباعاً جسدياً. ولذلك فهو صاحب عيون فهمه.

وهذا الإنسان ينهار تماماً ويفقد ثقته بنفسه مع تقدُّم العمر أو إذا أصابه أي ضعف أو عِلّة جسدية. هذا الإنسان يهتم كيف يبدو أمام الآخرين ويهمه تعليق الآخرين واستحسانهم. إنه يرى الإنسان مجرد تركيب عضوي أكثر من كونه وعياً داخلياً ذاتياً مثله مثل الإنسان الآلي. يعيش جسدياً ويحتفل بالحياة جسدياً. وهو لا يمارس الرياضة البدنية لأي متعة نفسية ولكن لتحسين أدائه الجسدي. وهو إذا اختار ملابسه لا يبحث عن الأكثر راحة أو الأجمل الذي يروق لعينيه ويتّفق مع ذوقه وإنما يبحث عن الأكثر جاذبية في عيون الآخرين.. لقد تحوّل وعيه من الداخل إلى الخارج.. من الذات إلى الجسد.. وقد يحظى بإعجاب الآخرين ولكنهم لا يتفاعلون معه وأيضاً لا يحترمونه.. إنهم فقط

يستعملونه.. يستعملونه كأداة جنسية.. ومن الممكن أن يكون قادراً على تحقيق ذروة فسيولوجية ولكنه غير قادر على تحقيق إشباع جنسيٍّ حقيقي لدى إنسان آخر حقيقي..

.. وهذا هو المأزق الحقيقي الذي يقع فيه النَّرجسيّ والسيكوباتيّ والأنانيّ والبخيل.. ويقع فيه أيضاً الإنسان الجميل جداً والقبيح جداً.. إن كل هؤلاء تمركزوا حول أجسادهم وحول متعتهم الجنسية.. الجميل تصوَّر أن لديه المقدرة الفائقة، والقبيح تصوَّر أنه معدوم من أي جاذبية جنسية.. ولذلك يفشل كل هولاء جنسياً.. قد ينجحون في تحقيق ذروة فسيولوجية لأنفسهم وللآخرين ولكنهم يفشلون في تحقيق إشباع حقيقي لأنهم تحوَّلوا عن مجال الوعي الانساني وتحولوا إلى آلات جيدة أو غير جيدة.. آلات صالحة وغير صالحة.

.. ولهذا فإن جذور عدم الكفاءة الجنسية يجب البحث عنها في مدى التزام البناء الشخصي للفرد بنظرية مجال الوعي الإنساني.. الوعي الإنساني القادر على النَّفاذ إلى وعيٍ إنسانيٍ آخر.. القادر على الحب.. القادر على التحرُّك من الداخل إلى الخارج. وبالتالي فإنه إذا لم يتواجد حباً عميقاً فإنه من الصعب أن يتحقَّق إشباع جسدي. إن العناق، مجرَّد العناق في حالة الحب هو خلق للحقيقة الكونية اللانهائية.. وتلامس المحبان يمتد بحيث يحتوي على الوجود.. إنهما إذ يمارسان الجنس في ظل الحب يشعران أنهما ذاتان متحركتان وليس جسدان.. وبالتالي يشعران أن هذا العالم يقتصر في هذه اللحظة عليهما فقط.. وعيان ومن ثم جسدان. قِمةَ التركيز.. وبالتالي أيضاً لا قلق. ومع انتهاء هزَّة الجماع يستمر الإحساس ويمتد الشعور بالرِّضا العميق والامتنان.

.. إذن التركيز في هذه الحالة يكون على المشاعر وليس على الفعل. بينما من يمارس الجنس للجنس يكون التركيز على الفعل، ولهذا فهو يسأل في النهاية شريكه : هل أرضيت جسدك؟ وذلك لأنه تركيز مادي محض.. تركيز في منطقة معيّنة من الجسد.. ولهذا لا يجرؤ أن يسأل أو لا يجد بنفسه الحاجة أن يسأل شريكه : هل أرضيت روحك؟ لأنه بانتهاء هزة الجماع ينتهي كل شيء. إنها تُفضِي إلى حالة أشبه بالموت، ويعود الإنسان إلى الشعور بالوحدة والاغتراب والرّغبة في الفرار.

..الحب هو الوحيد القادر على إزالة شعور الإنسان بالوحدة والاغتراب، ولذلك فالجنس المجرد هو أسلوب زائف للقضاء على الشعور بالوحدة بل يفضي إلى تزايد هذا الشعور المؤلم، كما لا يمكن أن يكون الجنس طريقاً إلى الحب، العكس هو الصحيح.. الإعجاب قد يكون ستاراً للمشاعر والرّغبات الجنسية.. ولكن بعد ذلك يتبدّد هذا الإعجاب ويحلّ محلّه السأم والملل.. ولكن لا سأم مع العلاقة الجنسيّة تحت مِظلّة الحب بل يتجدّد الشوق إليها مثلما يتجدّد الشوق لأي فعل يتشاركان فيه.

فالاشباع المادي البحت يقتل الرغبة مثلما الطعام والشراب يقتلان الجوع والظمأ.. أما الروح فلا تشبع، وكل ما يتعلق بالروح يظل متجدداً.. ومن نِعَمِ الله علينا أنه أتاح لنا أن نُحبَّ بأرواحنا..

♡ ♡ ♡

.. إن أساس الاضطرابات الجنسيّة انفعاليّ عاطفيّ وليس عيباً في التكوين أو نقصاً فسيولوجياً.. ولا نهاية للحياة الجنسية للإنسان مهما طال به العمر.. ولعل أحد الأسباب الهامة للبرود الجنسيّ عند

المرأة افتقاد الحب. وكذلك الذين يعيشون حياة جنسية ماجنة وداعرة وينتقلون من شخص إلى شخص هم في الحقيقة مرضى يُعانون.. وأبداً لا يتحقق لهم أي إشباع جسدي أو نفسي.. ولذلك فهم في حالة عداءٍ مستمرٍ مع الآخرين.. رغبات عدوانية طاغية تحلّ محلّ الإحباط النفسيّ الجنسي، وشعور شديد بالغيرة والحسد من أي أثنين أنعم الله عليهما بالتوافق في الحب والزواج والجنس.

..إن من يبدأ بعطاء الجسد يجد كل الطرق مُغلَقة في وجهه بعد ذلك لأي عطاء آخر.. يصبح الجسد هو البداية والنهاية. والمرأة حين يصبح جسدها هو وسيلتها للعلاقة مع الر جل تفقد كل شيء ويزهدها الرجل سريعاً لأن الجسد لا يمدّ الإنسان إلاّ بلحظة سرعان ما تنتهي ولا يبقى من آثارها شيء. هزة الجسد لا تهزّ الروح ولا تُحرّك لها ساكناً.

♡ ♡ ♡

.. حين يلتقي موجود بموجود آخر في علاقة حب فإن الروح تهتزّ.. ولا يرتجّ لها الجسد فحسب وإنما يرتجّ لها الوجود كله.. ترتجّ لها كل الكائنات القادرة على الحب.. الجسد يسأم الجسد.. أما السأم ليس من صفات الروح.. الروح هي الأرحب والأشمل والأسمى.. وفي الإنسان السويّ يخضع الجسد للروح. أما في الإنسان غير السوي فإن الجسد يتمتع باستقلالية.. إنه يتحرك وفقاً لغرائزه واحتياجاته.. ينفصل إشباع الرغبات الجسدية عن كيانه الروحيّ والاجتماعيّ والأخلاقيّ سواء إذا كان إشباعاً لرغبة الجنس أو رغبة الأكل.

١٢

ماذا يفعل الحب بنا؟

♥ ..من نِعَمِ الله على الإنسان أن جعله قادراً على الحب..

إذن هو منحة إلهية.. نفحة من نفحات الله.. ولذلك اكتسب هذه القدسيَّة.. إنه يجعل الإنسان يُدرِك هذه الحَلَقة المقدَّسة منذ أن خُلِق ولحين عودته مرة ثانية إلى خالقه.

إنه كشفٌ للوجود وللحقيقة.. وكشفٌ للإنسان..

الإنسان الحق.. حقيقة الإنسان.. سرّه العظيم.. وسرّ علاقته بالكون.. سرّ تميُّزِه.

ولذلك فالحب يجعلنا نعرف ونصل ونتحقق ونُدرِك.. إنه القدرة الفائقة على الفَهْم والإحساس والإدراك. تتّسع أعيننا بامتداد السماء والأرض بل بامتداد الكون كله فنحيطه رغم اتساعه ولا نهائيته. ونرى موقعنا بوضوح بالنسبة لهذا الكون العظيم.. نُدرك علاقتنا بالأرض وعلاقتنا بالسماء.. علاقتنا بمن في الأرض ومن في السماء.

♡ ♡ ♡

ماذا يفعل الحب بنا؟

إنه يجعلك مخلصاً دون أن تدري أنك مخلص.. يجعلك وفياً.. يجعلك تسعد بعطائك دون أن تنتظر مقابِلاً.. تتفانى.. تتعاطف.. تُشفِق.. ترحم.. تودّ.. تتواضع.. تتسامح.

أي إعادة خَلْق. تشكيل جديد. ولذا تشعر بالسموّ. تشعر أنك تُحلِّق.. إنه ببساطة يجعلك تكتشف أعظم ما في نفسك..

ترى أنك جميل وبديع حقاً. تكتشف أنك كنت مؤهَّلاً لكل ما هو سامٍ ورفيع وجميل. تشعر أنك تزخر بكل القِيَم الأخلاقية العليا.

♡ ♡ ♡

ماذا يفعل الحب بنا ؟

إنه يُتيح لك أن تصعد وتصعد.. أن تسمو وتسمو.. تعشق الفضيلة والخير.. إنك تريد أن تُحقِّق لمحبوبك صدق توقعاته فيك ومنك.. إن محبوبك يراك أهلٍ لكل خير. وأنك مُؤهَّل لكل خير.. ولذلك فالحب سعيٌ نحو المُثُل العليا.. نحو الكمال. وهذه هي القدرة الإبداعية في الحب. ولذلك فأنت تنمو وتتطوَّر وتتغيَّر. تكتشف الإنسان المثاليَّ في داخلك. وتجد يد حبيبَك ممدودةً لك لتصعدا معاً. تكتشف سرَّك الحقيقي الذي جعل محبوبك يُفتَن بك. إنك خيٌر صادق.

♡ ♡ ♡

ماذا يفعل الحب بنا ؟

إنه يمنحك الطاقة. القوة. الإيمان. يملأك بالحماس. وذلك من أجل

أن تهب حياتك لشخص واحد هو محبوبك. وتفيض منك إرادة الخير على الغير فتصبح مصدراً حقيقياً للخير. تستحيل حياتك من أجل غيرك. تتجرد نهائياً من أي شوائب للأنانية والتمركز حول الذات. ستندهش لتلك الإمكانيات الهائلة التي لديك لتعمل وتنهض وتُبدع وتُضيف. لا من أجل نفسك بل من أجل من تحب. ولهذا تفقد كل رغبة في أن تكون مالكاً لشيء أو تتحكّم في الآخرين أو تفرض سطوتك. ستكتشف أن القانون الأعظم لتسيير الكون هو العطاء.

♡ ♡ ♡

ماذا يفعل الحب بنا ؟

ستشعر بسعادة عميقه لأن إنساناً آخر اكتشف حقيقتك الرائعة. ولولا الحب لما استطاع هذا الإنسان أن يتغلغل داخلك. بالحب وحده استطاع هذا الإنسان أن يعرف قدرك. واستطعت أنت أن تعرف قدر نفسك. حبيبك هو أصدق مرآة ترى فيها ذاتك الحقيقية. ذاتك الجميلة المثالية.

♡ ♡ ♡

ماذا يفعل الحب بنا ؟

إنه يجعلك تهدأ بعد أن كنت ثائراً متحفّزاً تلهث.. إيقاع الحياة كلها يهدأ. ثم لا يعنيك توحُّش الحياة والبشر وتَدَافعهم وتكَالبهم. ثم لا يعنيك ما تُعاني من ضغوط ومشاكل ونقص.. ثم لا تقلق لقصر الحياة وزواليّتها..

إن الدنيا كلها تصبح هي حبيبك.. هو ما يعنيك وهو أهم شيء

وهو كل شيء. هو الدنيا. وهو المدلول.. وهو المعنى.. وهو الهدف.. وهو الاستقرار.. وهو الخلود.. وكل ما عداكما وكل ما هو خارج حدودكما معاً لا يهم..

كل شيء يفقد قيمته أمام أهم حقيقة وهي أنكما معاً.. معه لا تعنيك جحيم الحياة ومخاطرها. تمتلك نفسك تماماً وتتماسك ويبعد عنك أي شعور بالضياع.

♡ ♡ ♡

ماذا يفعل الحب بنا ؟

إنه يجعلك أنت.. أنت كما أنت.. أنت دون تكلُّف.. دون أن تحاول أن تبدو في صورة أُفضل.. أن تكون على طبيعتك. على ما أنت عليه.. ذاتك الحقيقية. مظهرك الحقيقي.

وهذا هو سر جمالك. وتلك سعادة حقيقية أن تشعر أن هناك من اختارك ضمن الملايين وأنت على ما أنت عليه. وأنت لم تبذل جهداً.

♡ ♡ ♡

ماذا يفعل الحب بنا ؟

إنه يجعلك تشعر بالاكتمال.. تشعر أنك عثرت على نصفك الآخر.

كيف تعثر على هذا النصف من ضمن ملايين البشر؟! إنك بلا شك إنسان محظوظ.. محظوظ حقاً.. هناك من يظلوا غير مكتملين تائهين مدى حياتهم.

وأليس غريباً أن يكون نصفك الآخر من الجنس الآخر؟!

إن هذا يكشف عن الثنائية الخالدة ثنائية الوجود والتواجد على الأرض.

الرجل والمرأة.. معاً.. كيان واحد.. لا بد أن يكونا معاً في وحدة واحدة.. عاشق ومعشوق.. محبّ ومحبوب.. عابد ومعبود.. خالق ومخلوق..

إن الوجود كله يتكثف عند نقطة واحدة. عند لحظة واحدة. عند معنىً واحد. عند منحىً واحد. ألا وهو حب رجل وامرأة.

♡ ♡ ♡

ماذا يفعل الحب بنا ؟

إنه يجعلك تعرف روعة أن تشتاق.. أن تحنّ.. أن تسعى لرؤية محبوبك.. أن تكون مستعداً أن تدفع كل شيء وتتخلّى وتتنازل عن كل شيء في سبيل أن تحظى بلحظةٍ معه.. تراه.. تأتنس به.. تَسمَرُ معه.. تتشاركان.. متعة أن تنتظر وتترقّب وتتطلّع.

♡ ♡ ♡

ماذا يفعل الحب بنا ؟

إنه يُحرّرك من التبعيَّة لأي شيء.. لأنك بهذا الحب تولد من جديد.. إعادة خَلْق.. صفحة جديدة بيضاء لست مديناً فيها لأحد.. تستردُّ أنفاسك.. تستجمع كل قِواك.. تُلملِم ذاتك. حرية.. إرادة.. قوة.. شجاعة.. إيمان.. إصرار.. تصميم.. حماس.. هدف.. معنى.. قِيَم.. إبداع.. إزدهار.. رؤية جديدة.. فكر جديد.. طريق جديد.. إختيارك.. إرادتك.

♡ ♡ ♡

ماذا يفعل الحب بنا ؟

إنه يجعلك تشعر بلذة أن يشاركك أحد حياتك. إنها رؤية جديدة للحياة مع إنسان يرى أن وجودَك أهم شيء بالنسبة له في الحياة.. إنسان يرى أنك أهم إنسان في الدنيا.. وأنت أيضاً تراه بنفس الطريقة.. تراه قيمة ومَثَلاً أعلى.. جميل وبديع وساحر ورائع وأخّاذ وجذّاب وهائل وعظيم وقدير وفنان..

تصوّر أنك تُشارك هذا الإنسان الحياة.. الخبرات المشتركة.. الأماكن.. الشوارع.. الأغاني.. الكتب.. الحكايات.. الأيام.. الليالي.. المشاكل.. المتاعب.. الصّعاب.. الأحزان.. الآلام.. الأفراح.. الانتصارات.. كل الحياة.. كم تكون الحياة ممتعة بمشاركة هذا الإنسان.

♡ ♡ ♡

ماذا يفعل الحب بنا ؟

إنه يُتيح لك أن تَسْكَنَ إلى إنسان تلقى منه المودّة والرَّحمة.. يُتيح لك إنسان تستطيع أن تعتمد عليه اعتماداً كاملاً بكل ثقة وطمأنينة.. إنسان تستطيع أن تمشي وراءه وأنت مُغمَض العينين. يا لها من سعادة.. سعادة الطمأنينة..

♡ ♡ ♡

ماذا يفعل الحب بنا ؟

تغيُّر خطير يحدث داخلك وهو أنك تعود مرة ثانية تثق بالحياة وتثق بالإنسان. يجعلك قادراً على رؤية الشيء الطيِّب الحسن الموجود عند كل إنسان ويجعلك قادراً على التعامل مع هذا الجزء واستثماره.

وفي ذلك شعور بالراحة والطمأنينه. إنها رؤية الجمال الحقيقي في الحياة.. تنعم بالنظر إلى براءة الوردة مثلما تنعم برؤية البراءة داخل كل إنسان..

إنه يجعلك تثق بسيادة الخير عند كل إنسان.

♡ ♡ ♡

ماذا يفعل الحب بنا ؟

يجعلك تكتشف واحدة من أعظم القِيَم الإنسانية التي تمنحك الاستقرار والطمأنينة ألا وهي الوفاء.. أي خلود أصدق المشاعر..

إن وفاء حبيبك لك هو تاج تضعه على رأسك.

♡ ♡ ♡

ماذا يفعل الحب بنا ؟

إنه يكشف عن قدرة عظيمة تمتلكها وهي أنك أتحت لإنسان آخر أن يرى ذاته على مرآتك.. ساعدته على كشف نفسه.. وأنت أيضاً تعرفت على ذاتك من خلاله واكتشفت أنه يستحق منك أن تعطيه كل حياتك فهو قد أتاح لنهر الخير عندك أن يتدفق وأن يجد مَصَبّاً يتشربه.

♡ ♡ ♡

ماذا يفعل الحب بنا ؟

الحب هو سر نجاحك في علاقاتك بالناس. لقد استخدمت هذه الطاقة العاطفية الهائلة التى ولَّدها الحب في داخلك للتأثير على الآخرين فاكتشفت أن القلوب تَلين والعقول تتفهم وتقتنع والأبواب تتفتّح.

♡ ♡ ♡

ماذا يفعل الحب بنا ؟

إنه جعلك تحب إنساناً لذاته وليس لصفاته.. وهذا يُعلِّمك أعظم دروس الإنسانية وهي أن تهتم بأي إنسان لأنه إنسان سواء إذا كان طيباً أو سيئاً.. أن تهتم بالإنسان كإنسان لا كأداة تستخدمها أو وسيلة تستغلّها.. إنه يعلمك ألا ترى الناس مثلما ترى الأبيض والأسود.. إنه يبعدك عن تقسيم البشر إلى أخيار وأشرار.. الإنسان قبل كل شيء.

إكتشفت أنه ببطاقة الحب تتحوَّل التكشيرة إلى ابتسامة والعداوة إلى مودة والعناد إلى مرونة.

الحب أهداك مفاتيح القلوب والعقول.. اكتشفت قدرة هذا النور الإلهي على تغيرِ النفوس.. الحب يُولِّد حباً.. والخير يبتعِثُ خيراً.

رسالة الختام

أنا معك..

د. عادل صادق

يونية ١٩٩٢

محتويات الكتاب

صدر للمؤلف

- أسرار في حياتك.
- أسرار في حياتك وحياة الآخرين.
- حكايات نفسية.
- مباريات سيكولوجية.
- معنى الطب النفسي.
- الإدمان له علاج.
- الطب النفسي.
- الألم النفسي والعضوي.
- في بيتنا مريض نفسي.
- حياتي عذاب.
- إمرأة في محنة.
- مشكلات نفسية.

للمؤلف تحت الطبع

- الغيرة والخيانة.